مصنفات الشيخ المفيد

(المتوفى ٤١٣ هـ)

٦





تصحيح اعتقادات الامامية

المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد



تصحيح اعتقادات الإمامية

تأليف

الإمام الشيخ المفيد

محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم

أبي عبد الله، العكبري، البغدادي

(٣٣٦ - ٤١٣ هـ)

عنوان الكتاب:	تصحيح الاعتقاد
المؤلّف:	الشيخ المفيد
المحقّق:	حسين درگاهی
الناشر:	المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد
الطبعة:	الأولى
المطبوع:	٢٠٠٠ نسخة
المطبعة:	مهر
تاريخ النشر:	١٣٧١ هـ ش = ١٤١٣ هـ ق

الإشراف الفنّي	محمّد هادي به
التنضيد والإخراج الفنّي الكمبيوتري	مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السّلام ـ قم

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجيتنا في التحقيق:

كان عملي في هذا الكتاب الشّريف متضمّناً لعدّة مراحل؛ أُوردها كالتّالي:

١ـ مقـابلة النّسخـة المطبوعـة مع ستّ نسخ خطّيّة أُخـرى ـ سيأتي ذكـرها قريباً ـ بشكل دقيق، وتثبيت الاختلافات الواردة فيها.

٢ــ تخريج الآيات القـرآنيّـة الشّـريفة والأحاديث والـرّوايـات؛ من كتب الشّيخ الصّـدوق ــ رحمه الله ــ أوالإشـارة إلى مكانها في بحـار الأنـوار للعـلاّمـة المجلسيّ ـ رحمه الله.

٣ـ تقويم متن الكتاب وضبط نصّه، مع ملاحظة جميع الاختلافات الواردة بين النّسخ الخطّيّة، والإشارة إلى ما كان صـالحاً منها في الهامش. وقد اعتمدت في هذه المرحلة: طريقة التّلفيق بين النّسخ الخطّيّة المعتمدة وبين المطبوعة؛ من أجل إثبـات نصّ صحيح يكون ــ إن شاء الله تعـالى ـ أقـرب شيء لما تركـه المصنّف ـ قدّس الله نفسه الزّكيّة ـ قدر الإمكـان، وذلك لعدم وجود نسخة ذات ميزة خاصّة لـدينا كي نعتمـدهـا أصـلاً من بين هذه النّسخ، يمكن التّعـويل عليهـا بشكل

كامل، بل كان جميعها مليئاً بالأسقام والإسقاط والتّصحيف.

٤ـ تنزيل هوامش الكتاب؛ مستفيداً من كلّ ما أُنجز في المراحل التّحقيقيّة المتقدّمة، وصياغة الكتاب بهذا الشّكل الجميل.

٥ـ تصحيح عبارات الكتاب وفق أحدث القواعد الإملائيّة، مع ضبط تقطيع نصّه وتقسيم جُمَلِه.

النّسخ الخطّيّة المعتمدة:

لقد اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب النّفيس على ستّ نسخ خطّيّة؛ هي كالتّالي:

١ـ النّسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشّورى الإسلاميّ في طهران، ضمن مجموعة برقم ٢٨٣٣ (الرّسالة الرّابعة)، جاء في آخرها: فرغ من تحرير هذه الرّسالة... في اليوم التّاسع من شهر محرّم الحرام من شهور سنة ثمانين بعد الألف من الهجرة... وكتبها... أحمد بن عبد العالي الميسيّ العامليّ... [ثمّ قال النّاسخ عن هذه النّسخة]: وأنا قد فرغت... من تحريره في اليوم السّادس من شهر محرّم الحرام سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بعد الألف... وأنا العبد الأحقر الجاني الحسن بن محمّد الخياباني التّبريزيّ. مكتوبة بخطّ النّسخ، تقع في ٤٥ صفحة، كلّ صفحة منها تحتوي على ١٩ سطراً، بحجم ١٩ ×١٣ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «أ».

٢ـ النّسخة الموقوفة في مكتبة الآستانة الرّضويّة المقدّسة في مشهد، برقم

١٢٨٤١ مع ضمائم أُخرى فيها، ناسخها مصطفى قلي الحسينيّ القزوينيّ؛ بتاريخ ١٠٧٩هـ. مكتوبة بخطّ النّسخ، تقع في ١٠٠ ورقة، تحتوي كلّ صفحة منها على ١٥ سطراً، بحجم ٢٣,٥ × ١٣سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ح».

٣ـ النّسخة الموقوفة في مكتبة الآستانة الرّضويّة المقدّسة أيضاً، برقم ٧٧٢١، ناسخها: ابن زين العابدين محمّد حسين الارمويّ النّجفيّ؛ بتاريخ ١٣٥٢هـ، بخط النّسخ، تقع في ٢٤ ورقة، تحتوي كلّ صفحة منها على ١٩ سطراً، بحجم ٢١ × ١٦سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ز».

٤ـ النّسخة الموقوفة في مكتبة الآستانة الرّضويّة المقدّسة أيضاً، برقم ٦٧٤٧، ناسخها: شاه محمّد بن زين العابدين، بتاريخ ١٠٤٢هـ. مكتوبة بخطّ فارسيّ، تقع في ٥٢ ورقة، تحتوي كلّ صفحة منها على ٢٠ سطراً، بحجم ٢٥ × ١٤سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ش».

٥ـ النّسخة الموقوفة في مكتبة الآستانة الرّضويّة المقدّسة أيضاً، برقم ٦٨١٦، مجهولة النّاسخ والتّاريخ، مكتوبة بخطّ النّسخ، تقع في ٣٥ ورقة، تحتوي كلّ صفحة منها على ١٤ سطراً، بحجم ١٧ × ١١سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ق».

٦ـ النّسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشّورى الإسلاميّ في طهران، برقم ٢٩٠٤، مكتوبة بالخطّ الفارسيّ (شكسته) بتاريخ ١٣٣٥هـ مجهولة النّاسخ، وهي كثيرة الأخطاء والإسقاط، جاء في آخرها: لايخفى أنّ النّسخة الّتي كتبنا منها كانت مغلوطة في الغاية بالتأمّل والحدس، أصلحت منها ما تيسّر لي، وقد بقي منها مواضع تحتاج إلى التأمّل والتّصحيح والمراجعة، والله الموفّق للصّواب. تقع

في ٢٣ ورقة، تحتوي كلّ صفحة منها على ١٨ سطراً، بحجم ٢٠ × ٥ , ١٤ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «م». هذا ولم تفدنا كثيراً في التّصحيح، لذلك أهملنا ذكرها في كثير من مواضع الكتاب.

أخيراً؛ نسأل الله العليّ القدير أن يوفّقنا وجميع الإخوة العاملين لإحياء تراث الأئمّة الأطهار ـ عليهم صلوات الله الملك الجبّار ـ وأن يتقبّل منّا هذا المجهود العلميّ الضّئيل وينفع به، ويجعله ذخراً لآخرتنا؛ إنّه سميع مجيب، والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلىّ الله على محمّد وآله الطّاهرين.

تذكار:

تعليقات هذه الرسالة بعضها بقلم العالم الفاضل المرحوم الحاج الشيخ عباسقلي الواعظ الچرندابي ورمزه «چ».

وبعضها بقلم العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله ورمزه «ش».

وبعضها بقلم العلامة الشيخ فضل الله الزنجاني رحمه الله ورمزه «ز».

وباقي التذييلات من مصحح الرسالة ومحققها.

وقف ... المفيد ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ...

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين

قال الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى يوم يكشف عن

ساق والساق وجه الامر وشدته قال الشيخ المفيد ومعنى قوله تعالى يوم يكشف عن

ساق يريد به يوم القيمة يكشف به عن امر شديد صعب عظيم وهو الحساب

والمداقة على الاعمال والجزاء على الافعال وظهور السرائر وانكشاف البواطن

على الحسنات والسيئات فعبر بالساق عن الشدة ولذلك قالت العرب فيما عبرت

به عن شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب بنا على ساق

وقال الشاعر وهو سعد بن خالد كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وبدت حميا الموت يحفو تحتها الاجل المتاح ومن ذلك قولهم قد قامت السوق

اذا ازدحم اهلها واشتد امرها بالمبايعات والتجارات ووقع الجد في ذلك فلا

فصل ومضى في كلام ابي جعفر رحمه الله شاهد اليد عن القدرة قوله تعالى واذكر عبدنا

داود ذا الايد فقال ذو القوة قال الشيخ المفيد رحمه الله وفيه وجه آخر وهو ان

اليد عبارة عن النعمة قال الشاعر له علي اياد لست اكفرها وانما الكفر ان لا تشكر النعم

فيحتمل قوله داود ذا الايد ان يريد به ذا النعم ومنه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان

يعني نعمتيه العامتين في الدنيا والآخرة وقال ابو جعفر رحمه الله في قوله تعالى ونفخت فيه

من روحي فقال هي روح مخلوقة اضافها الى نفسه كما اضاف البيت الى نفسه وان

كان خلقا له قال الشيخ المفيد ليس وجه اضافة الروح الى نفسه والنسبة اليه

صورة الصّفحة الأُولى من النّسخة «أ»

من تحرير هذه الرسالة المتعلقة على اعتقادات ابن بابويه رحمه الله
لشيخنا الإمام العلامة السعيد المفيد طاب ثراه في اليوم الثاني
من شهر محرم الحرام من شهور سنة ثمانين بعد الالف من الهجرة النبوية على
مشرفها الف الف تحية وكتبها لنفسه ولمن شاء الله [illegible]
[illegible] عبده احمد بن عبد العالي الميسي العاملي [illegible]

[illegible]

صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة «أ»

قالت العرب فيما عبّرت به عن شدّة الحرب

وصعوبتها قامت الحرب على ساقٍ قال

وقامت الحرب بنا على ساقٍ وقال ايضاً هو

سعد بن خالد بيت كشفت لهم عن ساقها

وبدا من الشر الصراحُ، وبدت عُقاب الموت

يخفق تحتها الاجل المتاح، ومن ذلك قولهم قد قامت

السوق اذا ازدحم اهلها واشتد امرها

بالمبايعة والمشارات ووقع الجد في ذلك

والاجتهاد فصل

ومضى في كلام ابي جعفر رحمة الله شاهد

اليد عن القدرة قوله تعالى واذكر عبدنا

داود ذا الأيد فقال ذو القوة قال

الشيخ المفيد وفيه وجه آخر وهو ان اليد

عبارة عن النعمة قال الشاعر له علي ايادٍ

لست اكفرها، وانما الكفران لا بشكر النعم

صورة أوّل ما في النّسخة «ح»

بذلك او تنكره فهذه جملة ما انطوى عليه من

التفصيل يدل على الحق في الاخبار المختلفة والعرض

فيها للاثنين الأبعد ايراد الأحاديث والعوارض [illegible]

كل واحد منها ما بيّنا طريقه وامّا ما تعلق

به ابو جعفر رحمه الله من حديث سليم الذي

رجع فيه الى الكتاب المضاف اليه برواية ابان

بن ابي عياش فالمعنى فيه صحيح غير ان هذا

الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على اكثره

وقد حصل فيه تخليط وتدليس فينبغي للمتدين

ان يجتنب العمل بكل ما فيه ولا يعوّل على جملته

والتقليد لروايته وليفزع الى العلماء فيما تضمنه

من الاحاديث ليوقفوه على الصحيح منها و

الفاسد والله الموفق للصواب وللتبيين والحمد لله على

آلائه والصلوة والسلام على نبينا محمد وآله تم شرح الشيخ المعظم [illegible] على اعتقادات

الشيخ ابي جعفر ابن بابويه القمي رحمه الله [illegible] ١٠٧٩

[illegible]

صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة «ح»

[illegible]

هذا شرح المفيد رضي الله عنه على عقايد الصدوق رضوان الله عليه
الحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلم على محمد واله
قال الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى يوم
يكشف عن ساق والساق وجه الامر وشدته قال الشيخ المفيد
ومعنى قوله يوم يكشف عن ساق يريد به يوم القيمة يكشف عن امر
شديد صعب عظيم وهو الحساب والمدافعة على الاعمال والجزاء
على الافعال وظهور السرائر وانكشاف البواطن والمدافعة على
الحسنات والسيئات فعبر بالساق عن الشدة ولذلك قالت
العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب عن
ساق وقامت الحرب بناء على ساق وقال ايضا وهو سعد بن خالد
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح وبدت عقاب الموت
يخفق تحتها الاجل المتاح ومن ذلك قولهم قد قامت السوق
اذا ازدحم اهلها واشتد امرها بالمبايعة والمشارات ووقع الجد
في ذلك والاجتهاد ومضى في كلام ابو جعفر ره شاهد
اليد عن القدرة قوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد فقال
ذو القوة قال الشيخ المفيد ره وفيه وجه اخر وهو ان اليد عبارة
عن النعمة قال الشاعر له على ايادلست اكفرها وانما الكفران
لا تشكر النعم فيحتمل قوله داود ذا الايد ان يريد به ذا النعمة
ومنه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني نعمتيه العامتين في

صورة أوّل ما في النّسخة «ز»

في كل واحد منهما ابناني طريقه او ما تعلق به ابو جعفر ره من حديث
سليم الذي رجع الى الكتاب مضافا اليه برواية ابان بن ابي عياش
فالمعنى فيه صحيح غير ان هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على
اكثره وقد حصل فيه تخليط وتدليس وينبغي للمتدين ان يجتنب
العمل بكل ما فيه ولا يعول على جملته والتقليد بروايته وليفزع
الى العلماء فيما تضمنت من الاحاديث ليوقفوه على الصحيح منها
والفاسد والله سبحانه ونعم الموفق للصواب والحمد لله رب العالمين

يقول الفقير الى الله الغني ابن زين العابدين محمد حسين الارموي
النجفي هذا تمام ما في النسخة التي نسخت هذه منها واتفق لي الفراغ
في اخر يوم من صفر سنة الف وثلثمائة واثنا وخمسين الهجري
على هاجرها الف سلام وتحية
وصلى الله على محمد وآله
الطاهرين

صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة «ز»

تصحيح ... اعتقادات ابن بابويه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نواله والصلوة على محمد وآله — هذا تصحيح الاعتقاد ...
للشيخ ابي جعفر ابن بابويه رضي الله عنه تأليف الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله
قال الشيخ ابو جعفر في رسالة الاعتقادات في معنى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين
قال الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق
والساق وجه الامر وشدته قال الشيخ المفيد ومعنى قوله يوم يكشف عن ساق يريد به يوم
القيمة ينكشف به عن امر شديد صعب عظيم وهو الحساب والمواقفة على الاعمال والجزاء
على الافعال وظهور السرائر وانكشاف البواطن والمواقفة على الحسنات والسيئات فعبر بالساق
عن الشدة ولذلك قالت العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب على ساق
قال ... وقامت الحرب بنا على ساق وقال الهذلي وهو سعد بن خالد كشفت لهم عن ساقها وبدا
من الشر الصراح ... ومن ذلك قولهم قد قامت
السوق اذا ازدحم اهلها واشتد امرها بالبايع والمشارات ووقع الجد في ذلك والاجتهاد
فصل ومعنى كلام ابي جعفر رحمه الله في اليد عن القدرة قوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا
الايد فقال ذا القوة قال الشيخ المفيد وفيه وجه آخر وهو ان اليد عبارة عن النعم قال الشاعر
له علي ايادٍ لست اكفرها وانما الكفر ان لا تشكر النعم فيحتمل قوله داود ذا الايد يريد به ذا
النعم ومنه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني نعمتيه العامتين في الدنيا والآخرة وذكر ابو جعفر
في قوله تعالى ونفخت فيه من روحي فقال اي روح مخلوقة اضافها الى نفسه كما اضاف
البيت الى نفسه وان كان خلقا له قال الشيخ المفيد ليس وجه اضافة الروح الى نفسه والنسبة
اليه من حيث الملك حسب بل الوجه في ذلك التمييز لها بالاعظام والاجلال والاختصاص
بالاكرام والتبجيل من جهة التحقق بها والدلالة بذلك على انها مختصة منه باكرامه واجلاله
لم يجعله لغيرها من الارواح والبيوت وكان الغرض من ذلك دعاء الخلق الى اعتقاد
ذلك فيهما والاعظام لهما به فصل والذي ذكره ابو جعفر رحمه الله في تفسير قوله تعالى

صورة الصّفحة الأُولى من النّسخة «ش»

ليس في العدول في التخصيص بالائمة عليهم السلام منهم اذ ذاك علامة الحق فيه وفرق
ما بين الباطل ومن الحق في معناه انه لا يجوز ان يفتي الامام عليه السلام على وجه التقية
في خلاف فيصح ذلك المقصود بعلم الدين من اصحابهم ولا يعلمون من جهة على اي وجه
كان القول فيه ولو ذهب بعض واحد منهم لم يذهب غيره الى غير الاشياء وهم المنفردون
بالفتيا والحلال والحرام ونقل الفرائض والسنن والاحكام ومن وجه آخر منها
ما يخالف الكتاب فلا يصح وقد قرّ لنا على حال اطراحه لمخالفة الكتاب من ذلك والاجماع الائمة
عليه وكذلك لو وجدنا حديثا يخالف احكام العقول اطرحناه لقضية العقل بفساد
الحكم بعد ذلك على انه صحيح خروج مخرج التقية او باطل انسب اليهم موقوف على النظر
وما يكون الشريعة فيه القول بالتقية ذكرناه ونقض العادات من ذلك او يكره فهذه جملة
ما انطوت عليه من التفصيل حمل على الحق في الاخبار المختلفة والصريح فيها لا يتم
الا بعد ايراد الاحاديث والتراجع كل واحد منها ما يفيد طريقه واما ما تعلق به ابو جعفر
رحمه الله من حديث سليم الذي رجع فيه الى الكتاب المضاف اليه برواية ابان بن
ابي عياش فالمعنى فيه صحيح غير ان هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على
اكثره وقد حصل فيه تخليط وتدليس فينبغي للمتدين ان يجتنب العمل بكل ما فيه
ولا يعول على جملته والتقليد لرواته وليفزع الى العلماء فيما تضمنه من الاحاديث
ليفقهوه على الصحيح منها والفاسد والله الموفق للصواب تمت

قد فرغت من تحرير هذه الرسالة المتعلقة على اعتقادات ابن بابويه رحمه الله
للشيخ الامام العلامة السعيد المفيد طاب ثراه الا في بعض المواضع التي كانت
ساقطة من المنتسخ ليرام [illegible] صحها بيمين الفقير المذنب المحتاج الى رحمة الله
المغيث محمد ابن زين العابدين في بندر السورت من بنادر الهند في غرة
جمادى الثانية في السنة الثانية [illegible] بعد الاربعين والالف حامدا مصليا مسلما

صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة «ش»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نواله والصلوة على محمد واله هذا تصحيح اعتقاد الامامية للشيخ ابي جعفر ابن بابويه رضي الله عنه تاليف الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد ابن محمد ابن النعمان رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر في رسالة اعتقاداته في معنى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق الساق وجه الامر وشدته قال الشيخ المفيد معنى قوله يوم يكشف عن ساق يريد يوم القيمة ينكشف فيه عن امر شديد صعب عظيم وهو الحساب والمواقفة على الاعمال والجزاء على الافعال وظهور السرائر وانكشاف البواطن والمواقفة على الحسنات والسيئات فعبر بالساق عن الشدة ولذلك قالت العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب على ساق وقامت الحرب

صورة الصّفحة الأُولى من النّسخة «ق»

تخليط وتدليس فينبغي للمتدين ان يجتنب العمل بكل ما فيه

ولا يعوّل على جملته والتقليد لرواته وليفزع الى العمل

بما تضمنه من الاحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد

والله الموفق للصواب

سال ١٢٤٨ خورشيدي

بازبيني شد

صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة «ق»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين قال الشيخ
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق والساق وجه
الامر وشدته قال الشيخ المفيد ومعنى قوله سبحانه يوم يكشف عن ساق يريد به يوم القيامة
يكشف عن امر شديد صعب عظيم وهو الحساب والمداقة على الاعمال والجزاء
على الافعال وظهور السرائر وانكشاف البواطن والمداقة على الحسنات و
السيئات فعبر بالساق عن الشدة وكذلك قالت العرب فيما عبرت به
عن شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب على ساق تبا على ساق وقال
[illegible] وهو سعد بن مالك كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح وبدت
عقاب الموت يخفق تحتها للاجل الاجل المتاح ومن ذلك قولهم قد قامت
السوق اذا ازدحم اهلها واشتد امرها بالمبايعة والمشاجرات ووقع الجد
في ذلك والاجتهاد وتفسير في كلام ابي جعفر ره شاهد اليد على القدرة قوله تعالى
واذكر عبدنا داود ذا الايد فقال ذو القوة قال الشيخ المفيد ره وفيه وجه
آخر وهو ان اليد عبارة عن النعمة قال الشاعر له علي ايادٍ لست اكفرها وانما
الكفران لا تشكر النعم فيحتمل قول داود ذا الايد ان يريد به ذا النعمة
ومنه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني نعمتيه العامتين في الدنيا والآخرة قال
ابو جعفر ره في قوله تعالى ونفخت فيه من روحي فقال هي روح مخلوقة اضافها
الى نفسه كما اضاف البيت الى نفسه وان كان خلقا له قال المفيد ره
اضافة الى نفسه ونسبته اليه من حيث الخلق حسب هذا الوجه في ذلك التميز

لها

صورة الصّفحة الأُولى من النّسخة «م»

متى وجدنا حديثاً يخالف الكتاب فلا يصح وفاقه له على حال اطرحناه لقضاء الكتاب
بذلك وإجماع الأئمة وكذلك ان وجدنا حديثاً يخالف أحكام العقول اطرحناه
لقضية العقل بفساده ثم الحكم بعد ذلك على انه صحيح اخرج مخرج التقية او باطل اضيف
اليهم موقوف على لفظه وما يجوز التأويل فيه القول بالتقية وحظره وتفصّل الدلالات
بذلك او تنكره فهذه جملة القول فيما نطوت عليه من القصص يدل على الحق
في الأخبار المختلفة والصريح فيها لا يتم الا بعد ايراد الأحاديث والقول في
كل واحد منها ما يأتي في طريقه او تعلق به ابو جعفر من حديث سليم الذي رجع فيه
الى الكتاب مضافاً اليه برواية ابان بن ابي عياش فالمعنى فيه صحيح غير ان
هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على اكثره وقد حصل فيه تخليط و
تدليس فينبغي للمتدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه ولا يعول على جملته والتقليد
لرواته وليفزع الى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح والفاسد

هذا آخر ما يوجد في كلام الشريف قدس الله نفسه الزكية وقد
وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة الشريفة ليلة
الاثنين تاسع شهر جمادى الآخرة سنة
خمس وثلاثين وثلثمائة بعد الالف
من الهجرة النبوية

على يد [illegible]
[illegible] في تربة
الكوفة
١٢٣٥
م

صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة «م»

الشّيخ المفيد

و

« تصحيح الاعتقاد »

بقلم: العلاّمة الشّهرستانيّ[1] «قدّس سرّه»

بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

أيّها القارئ الكـريم: قرأت بادئ بدء على الغـلاف اسم الشّيخ أبي عبد الله المفيد: محمّـد بن محمّد بن النّعمان ـ أنعمه الله بـالرّحمة والرّضوان ـ كما قرأت اسم تأليفه القيّم «**تصحيح الاعتقاد**»، ولكن هل عـرفت يا صـاح ما هـذا المؤلَّف ومن ذاك المؤلِّف؟

أمّا التّأليف فجملة جمل قيّمة، علّقها كفـرائد من نتاج يراعه ذلك الكاتب العبقريّ؛ الشّيخ المفيد العكبريّ، حول عقائد شيخه الصّدوق أبي جعفر ـ رضـي

---

(١) اقرأ تـرجمته الشّريفـة الضّافية في كتـاب (نابغـة العراق ــ أو ـ هبة الـدّين الشّهرستـانيّ ط بغداد ١٣٤٨هـ) لفقيد العلم والأدب السّيّـد محمّد مهدي العلويّ السّبزواريّ من أشهر كتّـاب العربيّة في إيران (المتوفّى سنة ١٣٥٠هـ بسبـزوار) رحمه الله رحمة واسعة. ج.

الله عنه ـ[١] تلك العقائد الّتي دوّنها هذا الشيخ باسـم الإماميّة، وأوهم النّاس بأنّها كذلك، وجملة منها ليست بذلك [٢].

ولقد نـوّهت قبل عشرين عامـاً في بغداد بـذكر (تصحيح الاعتقـاد) ولزوم نشره بين أبناء الضّـاد، فاستحسن ذلك أكثـر من بلغهم التّنـويه، لكنّما الحوادث الكوارث حالت بيننا وبين ما نـروم، وحتّى أنّ المرشد الشّهريّ البغداديّ قام بنشر

---

(١) قـال شيخ الطّائفـة أبو جعفـر محمّـد بن الحسن الطّوسيّ المتـوفّى سنـة ٤٦٠هـ في تأليفـه القيّم (الفهـرست ـ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ط النّجف): محمّد بن عليّ بـن الحسين بن موسى بن بـابويـه القمّيّ، جليل القدر يكنّى أبا جعفر، كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرّجال ناقداً للأخبار لم يُر في القمّيّين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنّف، وفهرست كتبه معروف.

وقال العـلاّمة السّيّـد محمّد صـادق «آل بحر العلـوم» في تعليقه عليـه: نزيل الـرّي، شيخنا وفقيهنا ووجـه الطّائفة بخـراسان، وكان ورد بغـداد سنة ٣٥٥ وسمع منـه شيوخ الطّائفـة وهو حدث السّن... مات(رض) بـالرّي سنة ٣٨١هـ وقبره بالرّي قـريب من قبر الشّاه عبد العظيم الحسنيّ، ويلقّب بالصّدوق. ج.

(٢) قال العلاّمـة الكبير الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ نزيل النّجف الأشرف في تأليفـه النّفيس (الذريعة إلى تصانيف الشّيعة ـ ص ٢٢٦ ج ٢ ط النّجف): الاعتقـادات للشّيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ؛ المتوفّى بـالرّي سنة ٣٨١ طبع مراراً أوّله: «الحمد لله ربّ العالمين، وحده لا شريك له» أملاه في نيسابور في مجلس يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ٣٦٨ لمّا سألـه المشـايخ الحاضرون أن يملي عليهم وصف دين الإمـاميّة على وجـه الإيجاز، ولـذا سمّاه الشّيخ في الفهرس بدين الإماميّة *؛ ذكر فيه جميع اعتقادات الفرقة النّاجية؛ الضّروريّة منها وغير الضّروريّة، الوفاقيّة منها وغير الوفاقيّة.

وقال في آخره: «وسأُملي شرح ذلك وتفسيره إذا سهّل الله عزّ اسمه عليّ العود من مقصدي إلى نيسابور» ولم يذكر شرح له في فهرس تصانيفه الكثيرة، ولعلّه لم يتيسّر له، ولذا عمد الشّيخ المفيد إلى شرح الكتاب، وله شروح وترجمة نذكرها في محالّها. ج.

---

* أُنظر (الفهرست ـ ص ١٥٧ ط نجف) فانّه ـ قدّس سره ـ سمّاه فيه: (كتاب دين الإمامية).

الشّطر الأوفر من ذلك ثمّ احتجب، إلى أن قيّض الـرّحمٰن لهذه المهمّة رجل الهمّة، ومثال صدق العزيمة، ترجمان حديث الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ أعني به فضيلة الواعظ الچرندابي؛ الحاج ميرزا عبّاس قلي التّبريـزيّ، فشمّر عـن ساعـد الجدّ والاجتهاد لنشر المكمل المشروح من تصحيح الاعتقاد؛ وهو هذا المنشور بين يديك.

أمّا مـؤلّف هذا السّفر القيّم أعنـي أبا عبد الله المفيـد، فهو نابغـة العراق، ورئيس شيعتـه على الإطـلاق، ولـد في الحادي عشر من ذي القعـدة سنـة ستّ وثـلاثين أو ثمان وثلاثين وثـلاثمائة، وتـوفّي ليلة الجمعـة لثـلاث خلون من شهـر رمضان سنـة ٤١٣ هـ، وقـد كان في الشّيعـة عرقهـا النّابض، وبطلهـا النّاهض، ودماغهـا المفكّر، ورئيسهـا المدبّر، معـروفاً بـالصّلاح، بـل غرّة رجـال الإصلاح، والخطيب المصقع، والمتكلّم المفوّه، والمنـافح اللّسن، والفصل المشترك بين الإمام والرّعيّة، ليس في ختام المائة الرّابعة فحسب، بل حتّى اليوم [١].

كانـت داره بالكـرخ من بغداد دائرة للمعـارف العاليـة، ومدرسـة للفنون العربيّة الرّاقية، وحسبك أن قد تخرّج منها أمثال الشّريفين الرّضيّ والمرتضى، وأبي جعفر الطّـوسيّ والنّجاشيّ وخلق لا يحصـون، ولذلك لقّب بمعلّم الأعـاظم وابن المعلّم، لقيامه كأبيـه بتربية الأعلام، ولقّبه بالمفيد عليّ بن عيسى الـرّمّانيّ النّحويّ عند تبرّزه في الحجاج على خصـومه أمثال أبي بكر الباقلاّنيّ؛ قـاضي قضاة بغداد، وسائر أقطاب الهيئة العلميّة [٢].

لقـد كان المفيـد مفيداً حقّـاً، مفيداً في القـول والعمل، مفيداً في الافتكـار والابتكار، آيـة في الذّكـاء وسرعة الخاطـر وبداهـة الجواب، حتّى قال فيـه أمثال الخطيب البغدادي: إنّه لو أراد أن يبرهن للخصم أنّ الأُسطوانة من الذّهب وهي من الخشب لاستطاع.

---

(١) أُنظر كلمة الإمام آل كاشف الغطاء في صدر كتاب (أوائل المقالات ـ ص يا، طبع ١٣٧١ ق). ج.

(٢) أُنظر مقدمة كتاب (أوائل المقالات ـ ص لط ـ م). ج

اتّصل الشّيخ المفيد بالدّولــة البويهيّــة في عاصمتها بغـداد في مبدأ أمـرها اتّصالاً وثيق العـرى، فقدّروا مكانته حقّ قـدرها، وأجروا الرّواتب لـه ولتلاميذه، وخصّصوا له جامع (براثا) في منطقة الكـرخ لوعظه و إقامة الصّلاة جمعةً وجماعةً، وله معهم نوادر وقضايا منشورة ومشهورة.

توجّهت إليه جماعة الإماميّة، وانقادوا لرئاسته الدّينيّة يوم كانت بغداد تموج بالفتن، وقد أكلت قواهم الإحن، والشّيعـة يومئذ شنيع وأحزاب تمزّقت شرّ ممزّق، وتفـرّقت إلى ميميّة وعينيّـة وغلاة ومخمّسـة وزيديّـة و إسماعليّة وو، فجمع المفيـد بحسن سيـاسته آراءهم إلى الـوسط الّذي يـرجع إليه الغـالي، و يلحق به التّـالي، فاستعمل الرّأي السّديد، وقبض على أمر الجماعة بيد من حديد، فلمّ شملهم بعد البداد، و قـرّب قومـاً من قوم بعـد طول ابتعـاد، و ألغى الفوارق التّـافهة تـوطيداً لـلاُلفـة، كما أخمد نـوائر الفتن، و محى مـآثـر المبـدعين، و قضى على أقطـاب الضّـلالة، و أخـرس شقـاشقهم، فاتّخذ لتخفيف وطأة انتشـار الضّـلال طريقـة اختصـار بعض الكتب، وتلخيص بعضها، وردّ جملـة منها بـالحجج الدّامغـة، و اختصار بعض المسانيد المؤثرة، و تقرأ في ترجمته المفصّلة في كتب التّراجم ككتاب (الرّجال ص ٢٨٣ ـ ٢٨٧ ط بمبئي) لتلميـذه أبي العبّاس النّجاشيّ؛ المتوفّى سنة ٤٥١ هــ، و(خاتمة مستـدركـات الـوسائل ص ٥١٧ ــ ٥٢١) للشّيخ النّـوريّ؛ المتوفّى سنة ١٣٢٠ هـ، أعماله الغرّ وأسماء مؤلّفاته البالغة فوق المائتين كتاباً.

أجل، وضع المفيـد للمجمـوعـة الشّيعيّـة مجمـوعـة كتب نـافعـة مقنعـة لو اقتصروا على دراستها لأغنتهم، كـالإرشاد إلى فضائل الأئمّة الأمجاد[1]، والمسارّ

---

(١) قال العـلاّمة السّيّد إعجـاز حسين في تأليفه القيّم «كشف الحجب والأستـار ص ٣٨ ط الهند»: الإرشاد للشّيـخ المفيد... في حـال الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ من مواليـدهم ووفياتهم ومحاسن ⇐

لمواسم الأعياد (١)، والنُكت الاعتقاديّة لدراسة أُصول الدّين (٢)، والمقنعة لدراسة فروع الدّين (٣)، وأهمّهنّ كتابه الموسوم بـ «تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد» الّذي انتقد فيه عقائد شيخه الصّدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ؛ المتوفّى سنة ٣٧١هـ.

نعم، بلغ شيخنا المفيد من الجهاد في الحقّ مبلغ من لا تأخذه في الله لومة لائم، فأزاح عن الكتاب ما علّقت عليه من ستائر الشُّبه، وما علقت به من

آثارهم وما ورد من القرآن في حقّهم وطرفاً من كلامهم و قضاياهم، وهو مرتّب على جزئين:

الأوّل: في ذكر مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

والثاني في ذكر باقي الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ وقد طبع بإيران كراراً وأحسن طبعاته صحّة وإتقاناً طبعة تبريز سنة ١٣٠٨ هـ ق.

ونقله إلى الفارسيّة المولى محمّد مسيح الكاشانيّ الشّهير بـ (مولا مسيحا) الّذي توفّي قبل وفاة العلاّمة آقا جمال الخونساريّ ـ الّذي توفّي سنة ١١٢٥ أو سنة ١١٢١ هـ ـ وسمّاه بـ «التّحفة السّليمانيّة» باسم الشّاه سليمان الصّفوي. وطبع بايران سنة ١٣٠٣ ق. ج.

(١) طبع سنة ١٣١٣ هـ بمصر تلو «شرح القصيدة الذهبيّة» للسّيّد المرتضى ـ رحمه الله. ج.

(٢) طبع للمرّة الثّانية ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ مع تعاليق رشيقة لسماحة العلاّمة الأكبر السّيّد هبة الدّين الشّهرستانيّ مدّ ظلّه، ونقله للفارسيّة العلاّمة الشّهير الحاج الشّيخ غلام حسين التّبريزيّ ـ نزيل المشهد الرّضويّ ـ مدّ ظلّه، وعلّق عليه بعض التّعاليق المفيدة وطبع بالمشهد المقدّس الرّضويّ، كما أنّه ترجمه إلى اللّغة الفارسيّة العذبة العلاّمة الشّيخ محمّد مهدي (شرف الدّين) التّستريّ، وطبع بطهران سنة ١٣٢٩ ش هـ مع بعض حواش وتعاليق له. ج.

(٣) طبع سنة ١٢٧٤ هـ على الحجر بإيران تلو كتاب فقه الرّضا ـ عليه السّلام ـ، ولا يخفى أنّ تلميذه الطّوسيّ قد شرحه في تأليفه الموسوم بـ «تهذيب الأحكام» الّذي هو أحد الكتب الأربعة المعوّل عليها عند الأصحاب من لدن تأليفها حتّى اليوم، وطبع سنة ١٣١٨ هـ بإيران في مجلّدين كبيرين.

وقال في «كشف الحجب ص ٥٤٨» المقنعة في الفقه للشّيخ المفيد... ذكر فيه الأُصول الخمسة والعبادات والمعاملات، وقد ترك شيخ الطّائفة قدّس سرّه شرح الأُصول الخمسة في التّهذيب، أوّله: الحمد لله الّذي نهج السّبيل إلى معرفته، ويسّر ما دعا إليه من طاعته. ج.

جـرائيم الشّكـوك، و ذلك بأجـوبتـه السّديـدة الّتي لاأُخت لها في نتـائج أقـلام الأعلام من الحقـائق المعقولة، والدّقـائق المقبولة؛ الّتي استخلصهـا هذا المصلح العظيم من صريح العقل، وصحيـح النّقل، فلـولاه ولـولاهـا لبقي أكثـر النّـاس حيارى بلا هدى ولا كتاب منير.

طهران ـ إيران   هبة الدّين الحسينيّ

١٣٦٣ ق   الشّهير بالشّهرستانيّ

تصحيح الاعتقاد (*)

(*) قال صاحب مجلّة «المرشد» المفضال في ضمن مقدّمته لهذا الكتاب في مجلّته الغرّاء ص ٧٨ ج ١ ط بغداد، ما لفظه: وكان سماحته (يعني العلاّمة الشّهرستانيّ) قد أشار في هامش هذه النّسخة النّادرة إلى ما قاساه في سبيل تحصيلها وتصحيحها في رحلته الهنديّة سنة ١٣٣١ هـ علاوة على ما علّق على متنها من ملاحظاته المهمّة الّتي عزّ الوصول إلى أمثالها وندر.

وقال العلاّمة الهنديّ السّيّد إعجاز حسين في كتابه النّفيس «كشف الحجب والأستار ص ١٢٤ ط الهند»: تصحيح اعتقاد الإماميّة ـ شرح اعتقادات الشّيخ أبي جعفر بن بابويه القمّيّ للشّيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النّعمان الحارثيّ... أوّله: الحمد لله على نواله، والصّلاة على محمّد وآله، هذا تصحيح اعتقاد الإماميّة... إلخ. ج.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نواله، والصّلاة على محمّد وآله، هذا تصحيح اعتقاد الإماميّة[1] للشّيخ أبي جعفر بن بابويه ـ رضي الله عنه ـ تأليف الشّيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النّعمان ـ رحمه الله ـ [2].

---

(١) الاعتقاد هو المحرّك الأوّل نحو الفعل، والمهيّئ الأوّل لقبول الأثر، وللأخلاق والعواطف المنزلة الثّانية من التّأثير والاعداد مهما كانت قويّة التّأثير، فالاعتقاد هو العامل الأوّل بكلّ معنى الكلمة، وله أثر عظيم في تقدّم الأفراد والأمم، والمدخليّة العظمى في تسافل الإنسان وفشل أعماله، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بحسن العقائد، وكم تدهورت أُمم عظمى في هوّة الانقراض من سوء الاعتقاد.

فإذا كان الاعتقاد بهذا الشّأن فالاهتمام بتصحيح الاعتقاد فريضة فوق الكلّ، ولمّا كانت مقالات الصّدوق أبي جعفر في عقائده مشوبة بآرائه الشّخصيّة ـ كما سيأتي ـ وبصورة موهمة الحكاية عن كافّة الشّيعة، نهض لنقدها شيخ الإماميّة، وغرّة رجال الإصلاح؛ المفيد محمّد بن محمّد بن النّعمان ـ قدّس سرّه ـ لتنزيه المذهب عن الشّائنات و الشّائبات، ولتصحيح عقائد المسلمين من غرائب الآراء والأهواء؛ إذ الاعتقاد ـ كما سلف ـ هو المحرّك الأوّل (أيما إلى جنّة أيما إلى نار). ش.

(٢) ومفتتح النّسخة الّتي هي بخطّ أحمد بن عبد العالي الميسيّ العامليّ هكذا: الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين.

قال الشّيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ والسّاق وجه الأمر وشدّته.

قال الشّيخ المفيد: ومعنى قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يريد به يوم القيامة... إلخ. ج.

معنى كشف السّاق

قال الشّيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابـويه القمّيّ المتوفّى سنة ٣٨١ هـ في رسالة اعتقاداته [١] في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [٢] السّاق: وجه الأمر و شدّته[٣][٤].

قال الشّيخ المفيد: معنى قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [٥] يريد به

---

(١) الاعتقادات للشيخ الصدوق ص ٢٣.

(٢) القلم: ٤٢.

(٣) فـالآية المذكـورة تهدّد المشركين الّذين أنِفـوا من السّجود لـربّ العالمين فتـوعّدهم بمجيء يـوم عصيب (ولو في هـذه الدّنيـا ومن بعد فتح مكّـة) تتجلىّ فيه عظمة دين التّـوحيد، وقـوّة تعاليم القرآن، فيرغمون فيه على عبادة الله ويدعون إلى السّجود.

ولفظـة (كشف السّـاق) على وجـازتها تشير إلى لطيفتين، إحـداهما: شدّة الحالـة الـدّاهيـة، والثّانيـة: تجلّيات الحقـائق الإسلاميّـة في المستقبل، لأنّ العرب تكنّي بكشف السّـاق عن هاتين الحالتين، وقد جرت عـاداتهم على كشف السّاق عند استقبال أوحـال الطّريق والغمرات، وعلى الكشف عن ساق الجارية قبل شرائهـا أو بعده لمعرفة عيوبها والمحاسن، فأين الآيـة من الدّلالة على ساق الرّبّ تعالى عنه، سيّما مع تنكير السّاق وعدم إضافته إلى أحد؟! ش.

(٤) راجع بحار الأنوار ٣: ٣٠٩ـ ٣٣٩ و ج ٤: ١ ـ ٢٥.

(٥) هـذا ابتـداء الرّدّ على المجسّمـة، وهي فـرقـة عـرفت بعد القـرن الأوّل الهجـريّ، وتفشّت في المسلمين، ودعواها جـواز وصف الله تعالى أوصاف الإنسان الجسمانيّة والنّفسـانيّة، وأنّ له ⇐

يوم القيامة [يكشف فيه][1] عن أمر شديد صعب عظيم، وهو الحساب والمداقّة[2] على الأعمال، و الجزاء على الأفعال، وظهور السّرائر و انكشاف البواطن، و المداقّة[3] على الحسنات والسّيّئات، فعبّر بالسّاق عن الشّدّة، و لذلك قالت العرب فيما عبّرت به عن شدّة الحرب و صعوبتها: «قامت الحرب على ساق» و «قامت الحرب بنا على ساق» و قال شاعرهم أيضاً وهو سعد بن خالد:

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشّرّ الصّراح

وبدت عقابُ الموت ... يخفق تحتها الأجل المتاح

و من ذلك قولهم: قد قامت السّوق، إذا ازدحم أهلها واشتدّ أمرها بالمبايعة والمشاراة، ووقع الجدّ في ذلك والاجتهاد.

⇐ تعالى يداً وجنباً وعيناً وأذناً وقدماً وساقاً... إلخ، حتّى كشف زعيمهم عن ساقه وقال (لله ساق كهذه) ولهجت عامّتها بخرافات يأنف اليراع من إيرادها.

وسبب انتشار دعواهم قصور كثير من النّاس عن تفسير متشابهات القرآن وتمييز وجوه أمثالها و مجازاتها الرّائعة عند العرب، فصاروا يفسّرون الظّواهر من مثل ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾(يونس: ٢) و﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ و ﴿مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزّمر: ٦٧) ومئات آيات أُخرى بنحو ما يفهم من الكلمة في أصل اللّغة، وقد أوضحنا تفاسيرها جميعاً في «المحيط» وفي «الدّلائل» وغيرهما. ش.

(١) «ز» «ش»: ينكشف به.

(٢, ٣) «ق» «ش»: والمواقفة، «ز» «م»: والمدافعة.

[تأويل اليد]

فصل:

و مضى في كلام أبي جعفر ــ رحمه الله ـ شاهد اليد عن القدرة قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ (1) فقال: ذو القوّة (2).

قال الشّيخ المفيد ــ رحمه الله ــ: وفيه وجه آخر وهو أنّ اليد عبارة عن النّعمة، قال الشّاعر:

لــه عليَّ أيـادٍ لست أكفـرهـا   وإنّما الكفر ألاّ تشكــر النّعم

فيحتمل أنّ قوله تعالى: ﴿داود ذا الأيد﴾ يريد به ذا النّعم، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (3) يعني نعمتيه العامّتين في الدّنيا والآخرة.

---

(1) ص: 17.

(2) الاعتقادات ص23 ، مجمع البيان 4: 469، التّوحيد: 1/153.

(3) قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ هي الآية الرّابعة والسّتّون في سورة المائدة، وتمامها: ﴿و قالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾...إلخ، استعارة أسماء الجوارح للمعاني والمجرّدات سائغة وشائعة كقوله تعالى: ﴿أو يعفو الّذي بيده عقدةُ النّكاح﴾ البقرة: 238. وليس للنّكاح عقدة محسوسة ولا انشوطتها في كفّ وليّ الزّوج الحسّيّة، فمن الجهل الفاضح توقّف المجسّم من تأويل اليد في الكتاب والسّنّة.

وفي الحديث النّبويّ: الحجر الأسود يمين الله في أرضه، وقد حكى اتّفاق الظّاهريّة، حتّى الإمام أحمد بن حنبل على وجوب تأويل هذا الحديث، فليست الاستعارة عار الكلمة لو ⇐

[نفخ الأرواح] [1]

أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [2] فقال: هي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه كما أضاف البيت إلى نفسه وإن كان خلقاً له.

⇐ لم تكن زينتها، ولا هي بدعاً في العربيّة، بل هي سنّة البلغاء من كلّ الأُمم، فللجميع تعابير شكوى من يد الزّمان حيث لا يد للزّمان ولا جسد، ولهم الشّكوى من يد المنون وليس بذي يد.

وقال الشّاعر الجاهليّ: «وإذا المنية أنشبت اظفارها»... إلخ، وأنّى للمنايا من أكفّ أو أظافير، فهل يحمل المجسّم كلّ هذه الكلم على حقائقها اللّغويّة المحسوسة، أم يختار فيها وفي أمثالها ما نرجّحه في آية: ﴿لما خلقت بيديّ﴾ (ص: ٧٥)؟

وإذا جاز المجاز في القرآن ولو مبدئياً فلنا على تأويل اليد في خصوص هذه الآية شاهدان منها عليها، أحدهما: جملة ﴿غُلَّت أيديهم﴾ فإنّ أيدي اليهود المحسوسة لم تغلّ بأغلال محسوسة، وإنّما ذلك منه كناية عن خزي وعار لحقا بهم، وثانيها: جملة ﴿ينفق «برحمته» كيف يشاء﴾ فإنّه دليل إرادة النّعمة من كلمة اليد ـ كما اختاره الشّيخ المفيد وغيره.

وفي القرآن شاهد ثالث في (سورة الاسرى: ٢٩): ﴿ولا تجعل يدَك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط﴾... إلخ، فإنّ مغلّة اليد فيها كناية عن الشّحّ والتّقتير، وبسطها كناية عن التّبذير والسّرف في الصّرف أو العطاء، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً. ش.

(١) الاعتقادات ص ٢٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ (الحجر:٢٩) لا يسع النّاس حتّى المجسّمة المشبّهة والظّاهريّة أن يجمدوا على ألفاظ ﴿نفخت فيه من روحي﴾ دون أن يتأوّلوا المجاز فيها، لأنّ النّفخ الشّائع بالهواء إن جوّزوه على الآلات أو من الآلات فلن يجوّزه على الرّوح أو من الرّوح أحد حتّى الحشويّ الجهول، وإذا تعذّرت الحقيقة فأنسب المجازات اتّخاذ النّفخ استعارة عن الحركة ⇐

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: ليس وجه إضافة الرّوح [والبيت] إلى نفسه[١] و النّسبة إليه من حيث الخلق فحسب[٢]، بل الوجه في ذلك التّمييز لهما بالإعظام والإجلال والاختصاص بالإكرام و التّبجيل من جهة التّحقق بهما، و دلّ بذلك على أنّهما يختصّان منه بكرامة و إجلال لم يجعله لغيرهما من الأرواح و البيوت[٣]، فكان الغرض من ذلك دعاء الخلق إلى اعتقاد ذلك فيهما والإعظام لهما به.

التّدريجيّة المحسوسة في نموّ الإنسان تشبيهاً لها بحركة الجراب المنفوخ أو نحوه فيه ، فالتّشابه بين نموّ الإنسان وبين الحركة التّدريجيّة المحسوسة في الجراب المنفوخ يسوّغ استعارة لفظ النّفخ لمعنى نموّ الجسد المحسوس من ولوج الرّوح فيه، فترى القرآن يصوّر نموّ الإنسان من محرّك خفيّ في داخله أعني الرّوح الشّبيهة بحركة الجراب من محرّك خفيّ في داخله أعني الرّيح، ولكن بتصوير بليغ في لفظ وجيز.

أمّا الرّوح فهي بمعناها الشّائع وغنيّة عن كلّ تأويل، والغرض منها الإشارة إلى نموّ الإنسان في بدء أمره بواسطة الرّوح غير أنّ المهمّ هو كشف السّتر عن سرّ إضافتها إلى الله تعالى، فإنّ الإضافات تختلف وجوه الاعتبارات فيها حسب اختلاف المضافات، فالخلق عبيد الله باعتبار رقيّتهم له، والرّقيّة من أظهر صفات العبيد، والأنبياء سفراء الله باعتبار إبلاغهم أحكام الخالق إلى الخلائق، وهذا التّبليغ من أظهر صفات السّفراء، والكعبة بيت الله باعتبار اجتماع المسلمين فيها كإخوة، ومن أظهر مزايا البيت جمع شمل الإخوة والعائلة، والمسيح روح الله باعتبار ظهور الكمالات الملكوتيّة فيه، ومن أظهر صفات الرّوح أنّها مرآة كمالات الملكوت.

إذن فالرّوح تستحقّ الإضافة إلى الله بهذا الاعتبار، إذ هي مرآة كمالات الملكوت و المظهر الأتمّ لكمالات الرّبّ وأسراره الغيبيّة، وهذه الوجوه أرضى من أوجه الشّيخين الجليلين. ش.

(١) أي في الآيات الكريمة: ﴿و عهدنا إلى إبراهيم و إسمٰعيل أن طهّرا بيتيَ للطائفين﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) ـ ﴿و إذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئاً و طهّر بيتيَ للطائفين﴾ (سورة الحج: ٢٦). ج.

(٢) «أ» «ح» «ز» «ش» «ق» «م»: حسب.

(٣) «ق»: والبيوتات.

[حكمة الكناية و الاستعارة]

فصل:

والّذي قاله أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [1] أنّ المراد: بقدرتي وقوّتي [2].

قال أبو عبد الله: ليس هذا هو الوجه في التّفسير، لأنّه يفيد تكرار المعنى، فكأنّه قال: بقدرتي وقدرتي أو بقوّتي وقوّتي؛ إذ القدرة هي القوّة و القوّة هي القدرة[3]، وليس لذلك معنى في وجه الكلام، والوجه ما قدّمناه من ذكر النّعمة،

---

(١) قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيديّ﴾ (سورة ص: ٧٥) لا يفوتك أنّ القرآن (حسبما أوضحناه) يستعمل أفانين البلاغة كأبلغ خطيب، وقد جرت سنّة البُلغاء في كافّة الأُمم على الاهتمام بصبّ الكلام مصبّاً محسوساً لتمثّل عند المخاطب معانيهم كأنّه يراها محسوسة لديه ومركوزة نصب عينيه، ولأجل البلغة إلى هذا الغرض المهم سلكوا سبل الكناية والاستعارة؛ إذ فيهما إقامة المحسوس مقام المعقول بعد ثبوت الملازمة أو المحاكاة بينهما نظير حكاية الأسد عن الشّجاعة أو العقرب عن إيذاء الصّديق، فعند التّعبير بهما عن هذين المعنيين يتمثّل المعقول محسوساً ونافذاً في الخواطر، هذه حكمة الكنايات والاستعارات ومن ذلك استعارة اليد عن القوّة والاحسان؛ إذ ليس في أعضائك عضو يقوم بخدمتك أو يظهر عملك وقوّتك مثل يديك،لذلك استحقّت اليد أن يؤتى بها حاكية وممثّلة عن القوّة والبطش تارة ، وعن الإنعام والإحسان أُخرى؛ كما ذهب إليه الشّيخان الجليلان، وقد أوضحنا الأمر في تأويل آية: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾.ش.

(٢) الاعتقادات ص ٢٣، مجمع البيان ٤: ٤٨٥، التوحيد: ١٥٣/ ١، ٢.

(٣) فيه نظر. ش ظ.

وأنّ المراد بقوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ﴾ إنّما أراد به نعمتيَّ اللّتين هما في الدّنيا والآخرة. والباء في قوله تعالى: ﴿بيديَّ﴾ تقوم مقام اللام، فكأنّه قال: خلقت ليديّ، يريد به لنعمتيّ؛ كما قال[1]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [2] و العبادة من الله تعالى نعمته عليهم، لأنّها تعقبهم ثوابه تعالى في النّعيم الّذي لايزول، وفي تأويل الآية وجه آخر، وهو: أنّ المراد باليدين فيها هما [3] القوّة و النّعمة، فكأنّه قال خلقت بقوّتي و نعمتي، وفيه وجه آخر وهو؛ أنّ إضافة اليدين إليه إنّما أُريد به تحقّق الفعل له وتأكيد إضافته إليه وتخصيصه به دون ما سوى ذلك من قدرة أو نعمة أو غيرهما، و شاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [4] و إنّما أراد: ذلك بما قدّمت من فعلك، و قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [5] والمراد به: فبما كسبتم.

والعرب تقول في أمثالها: «يداك أوكتا وفوك نفخ» [6] يريدون به أنّك فعلت ذلك وتولّيته وصنعته واخترعته و إن لم يكن الإنسان استعمل به جارحتيه اللّتين هما يداه في ذلك الفعل.

---

(١) فيه نظر ش ظ. (٢) الذّاريات: ٥٦. (٣) «ش» «ح» «ق»: هو.

(٤) الحجّ: ١٠. (٥) الشّورى: ٣٠.

(٦) قال العلاّمة أبو الفضل الشيخ أحمد الميداني المتوفّى سنة ٥١٨ هـ في تأليفه النفيس (مجمع الأمثال ـ ص ٣٣٥ ج ٢ ط مصر ١٣٤٢ هـ *: قال المفضل أصله أنّ رجلاً كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زق قد نفخ فيه فلم يحسن احكامه حتى إذا توسّط البحر خرجت منه الريح فغرق فلمّا غشيه الموت استغاث برجل فقال له: «يداك أوكتا وفوك نفخ، يضرب لمن يجني على نفسه الحين» و كى القربة: سدّها بالوكاء: رباط القربة. أُنظر (فرائد اللآل في مجمع الأمثال ـ ص ٣٦٣ ج ٢ ط بيروت ١٣١٢ هـ) لوحيد عصره العلاّمة الشيخ إبراهيم الأحدب (المتوفّى سنة ١٣٠٨ هـ). چ.

* قال قاضي القضاة أحمد بن خلكان (المتوفّى بدمشق سنة ٦٨١ هـ عن ٧٣ سنة) في كتابه النفيس (وفيات الأعيان ـ ص ٦ ج ٢ ط مصر ١٣٥٥ هـ): و أتقن (يعني الميداني) فن العربية خصوصاً اللغة و أمثال العرب. و له فيها التصانيف المفيدة، منها كتاب (الأمثال) المنسوب إليه، و لم يعمل مثله في بابه. چ.

[المكر والخدعة من الله، معنى الله يستهزئ بهم]

فصل:

وذكر أبو جعفر ـ رحمه الله ـ[1] في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[2]

---

(١) الاعتقادات ص٢٥ ، التّوحيد: ١٦٣/١ و ١٥٩ ـ ١٦٠/١ .

(٢) قوله تعالى: ﴿إنّ المنافقين يُخادعون الله وهـو خادعهم﴾ إلخ (النّسـاء: ١٤٢) سيأتي الأصل في آية: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ ونـوضّح أنّ العـرف من عـرب وغيرهم يتمثّـلون في أغلب محاوراتهم استعارة بالعمل عن أشباهـه وما على شاكلته فيقولون «نـام فلان عن حقّه وتحزّم لحقّ غيره» فلا يخطرببالهم الحزم والمنام المحسـوسان، وإنّما يريدون أنّه يعمل عملاً يشبـه بالنّائم عن حقّ نفسه أو المتحزم لخدمة غيره، كما يقال لمن قعد عن طلب نصيبه أو ضيّع فـرصة متاحة: لقد كنت نائماً أو غـائباً، وإن كـان حـاضراً واعياً، لأنّ عملـه يشبـه عمل النّـائم والغائب دون عمل الـواعي الحاضر، كذلك الّذين يتشبّثون لأهوائهم وشهواتهم بـدسائس التّمويه والتّطلية والحيل الشّرعيّة والتّزوير في التّسمية كأنّهم يمكرون ويخدعون الله، ثمّ إنّ الله تعالى في إسقاطهم على غرّة يشبه من يقابلهم بالمكر والخديعة في حين أنّه ليس مكراً في الحقيقة، وإنّما هو تأديب بعد استدراج، وبعد إنذار واحتجاج، وبهذه المناسبة وصف الله بأنّه خير الماكرين وخادع المنافقين.

إنّ الماكـرين أو الخادعين لا يعملون لغـاية مقـدّسة ولا يسبق منهم إنـذار لمن في وجههم أو إعلامه لكنّما الله سبحـانه يعمل لغاية قـدسية كالتّأديب، ويعمل بعد الإنـذار والمواعيد لعلّهم يحذرون ويتّقون، فهي وأشبـاهها بحسب الاصطلاح استعارة، لكنّ الشّيخين الجليلين حسبـاها من المجاز المرسل. ش.

و: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[١] و: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾[٢] و: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٣]:

---

(١) التّوبة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٥٥.

(٣) قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون﴾ (البقرة:١٦) إنّ بلاء الظّاهرية وأعني بهم الغلاة المتمسّكين بالظّواهر المأثورة ليس على الدّين والمسلمين بأقلّ من بلاء الباطنيّة وأعني بهم الغلاة في التّمسّك ببواطن الآثار واعتبارهم ظواهر النّقل العرفيّة قشوراً، وما هؤلاء وأولئك سوى طرفي إفراط وتفريط في الحقيقة، وأحرى بهم أن يعدلوا عن تطرّفهم ويسلكوا مذهب التّوسّط والاعتدال، فإنّ للقرآن والحديث ظواهر مقصودةعند التّخاطب مثل: ﴿وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة﴾ (البقرة: ٤٤) و ﴿أحلّ الله البيع وحرّم الرّبا﴾ إلى آخره (البقرة: ٢٧٦) مجمعاً عليها بالضّرورة. كما أنّ في القرآن والحديث ألفاظاً لا يراد منها معانيها اللّغوية الأصليّة المبذولة، وإنّما قصد منها معانٍ عرفيّة يتقبّلها عُرف التّخاطب على سبيل التّجوّز والتّشبيه كآية: ﴿يجعلون اصابعهم في آذانهم﴾ (البقرة:٢٠) أو حديث: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه» فلا ترى العقلاء إلاّ مجتمعين على صرف هذه الألفاظ عن مفاهيمها اللّغويّة الأصليّة إلى معانٍ تمثيليّة رائجة الاستعمال في محاورات العُرف من كلّ أُمّة، فتجد العُرف يقولون «فلان نام عن ميراث أبيه وتحزّم لمنازعة السّلطان» أي عمل شبيه عمل النّائم أو شبيه المتحزّم دون أن يقصد النّوم الأصليّ أو الحزام الحقيقيّ، قال الشّاعر:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

وليس المشيب في الحقيقة إنساناً يضحك، لكنّه يعمل بالرجل شبه عمل الضّاحك المستهزئ، وكذلك الله سبحانه يعمل بالظالمين عملاً يخيّل للناظر البسيط غير المتعمّق أنّه عمل المستهزئ بهم، لأنّه سبحانه يوسّع عليهم ابتداءً ويملي لهم ويمدهم في طغيانهم حتّى إذا استمرّ طغيانهم وضاق الذّرع بهم وبظلمهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر على حين غفلة وبدون مهلة، فيخال البسطاء أنّه سبحانه يستهزئ بهم أو يمكر في إذلالهم بعد الإعزاز وإسقاطهم بعد الإسعاد والإمداد، لكنّ الخواصّ من ذوي الألباب يعلمون أنّ إمهالهم بادئ بدء استدراج وإتمام حجّة، ثمّ التّنكيل بهم تأديب لهم وللبقيّة، ويشهد على هذا قوله بعدئذ: ﴿ويمدّهم في طغيانهم ...﴾ إلخ. ش.

أنّ العبارة بذلك كلّه [عن جزاء الأفعال] (١).

[قال أبو عبد الله] (٢): و هو كما قال إلاّ أنّه لم يذكر الوجه في ذلك، والوجه: أنّ العرب تسمّي الشّيء باسم المجازى عليه للتّعلّق فيما بينهما والمقارنة، فلمّا كانت الأفعال المجازى عليها مستحقّة لهذه الأسماء كان الجزاء مسمّى بأسمائها، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّما يأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾** (٣) فسمّى ما يأكلونه (٤) من الطّيّبات تسمية النّار وجعله ناراً، لأنّ الجزاء عليه النّار.

---

(١) في بقيّة النّسخ: الجزاء على الأفعال.

(٢) ليست في بقيّة النّسخ.

(٣) النّساء: ١٠.

(٤) في المطبوعة: يأكلون.

[نسبة النّسيان إلى الله]

فصل:

ذكر أبـو جعفر ـــ رحمه الله ـ[1]: أنّ النّسيان[2] من الله تعــالى يجري مجرى المخادعة منه للعصاة[3]، وأنّه سمّي بذلك باسم المجازى عليه.

[قال أبو عبد الله][4]: والوجـه فيه غير ذلك: وهو أنّ النّسيان في اللّغـة هو التّرك والتّأخير، قـال الله تعالى: ﴿مَـا نَنْسَخْ مِنْ آيَـةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَـا أَوْ

---

(١) الاعتقادات ص٢٦، التّوحيد: ١٦٣/ ١ و ١٥٩ـ ١٦٠/ ١.

(٢) قوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهـم إنّ المنافقين هم الفـاسقون﴾ (التّوبـة: ٦٧) قد سبق الأصل في تفسير أمثال هذه في آية: ﴿الله يستهزئ بهم ...﴾ إلخ، وآيات أُخـرى أنّ ذلك وارد مورد تمثيل العمل وتشبيه الفاعل في ظاهر فعله كقولهم «فلان نام عن حقّه وتحزّم لحقّ غيره» وقولهم لمن أساء على من أحسنوا إليه «نسيت الجميل» في حين أنّه غير ناس، لكنّه يعمل عمل النّاسي أي الإساءة على المحسن نظير اتّخاذ البُلغاء غير الجاحد جاحـداً إذا وجدوه عـاملاً عمل المنكـرين؛ كقول الشّاعر:

جـــاء شقيـق عــــارضــــاً رمحه   إنّ بنـي عمّـك فيهـم رمــــــاح

وبالجملة: فالـوجه الّذي استقبلنـاه في تأويل الآيات هو الاستعـارة، والوجه الّـذي استقبله الصّدوق أبو جعفـر (رض) أشبه بالمجاز المرسل، وأمّـا تأويل النّسيان إلى معنى التّرك كما أفاده الشّيخ المفيد (رض) فمآله إلى الاشتراك اللّفظيّ. ش.

(٣) في بقيّة النّسخ: العصاة.

(٤) ليست في بقيّة النّسخ.

﴿مِثْلِهَا﴾[١] يريـد ما ننسخ من آيـة نتركها على حـالها أو نؤخّـرها [٢]، فالمراد بقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا [إطاعة الله تعالى] [٣]، و قوله: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ يريد به تركهم من ثوابه، وقـوله تعالى: ﴿أَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [٤] أي: ألجأهم إلى تـرك تعاهـدها ومراعاتها بـا لمصالح بما شغلهم به من العقاب. فهذا وجهـه و إن كان ذلك أيضاً وجها غير منكر، والله وليّ التّوفيق.

---

(١) البقرة: ١٠٧.

(٢) أُنظر (مجمع البيان * ـ ص ١٨٠ ـ ١٨١ ج ١ ط صيدا) لإمام المفسرين الشيخ أبي علي الطبرسي قدّس سره. ج.

(٣) «أ» «ح» «ز» «ق»: طاعته.

(٤) الحشر: ١٩.

---

* أُنظر المقـال القيّم الذي دبجه يراع العـلاّمة المحقق فضيلة الـدكتور محمد يوسف مـوسى الأُستاذ بكلية أُصول الـدين بمصر، حول تفسير مجمع البيان لإمام المفسرين الشيـخ الطبرسي ـ ره ـ في العدد الأول من مجلـة (رسالة الإسـلام ـ ص ٦٣ ـ ٦٩ ط قاهرة ربيع الأول ١٣٧٠ هــ) لسنتها الثالثـة، تلك المجلة الزاهـرة الوحيدة التـي تصدر عن (دار التقريب بين المذاهب الإسـلامية) بمصر المحمية، قـال الأُستاذ في ص ٦٦ من العـدد المذكور: «هـذا الكتاب الجليل الـذي تعني هذه الأيام (جماعة الأزهر للنشر و التأليف) التـي أشرّف برئاستها، بالعمل على نشره نشراً علمياً محققاً بكلّ معنى الكلمة ـ إلى أن قال ـ و انّـه لايمنع هذه الجماعة من المضي سريعاً فيما اعتزمت وقرّرت إلاّ بعض الصعاب التي نرجو أن تتغلّب عليها إن شاء الله بمعونة من يرجى منهم العون من كبار العلماء المعنيين بإحيـاء التراث الإسلامي المجيـد، والله هو الموفّق لكلّ خير، الهادي إلى سواء السبيل». ج.

[صفات الله [1]]

فصل: في صفات الذّات وصفات الأفعال

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ: كلّ ما وصفنا الله تبـارك و تعالى به من

(١) إذا توسّعنا في تـدقيق صحائف الكتاب والسُّنّة حقّ التّوسّع لم نجـد هذا التّقسيم الاصطلاحيّ: أي تقسيم صفات الله إلى صفـات الذّات، وصفات الفعل، وصفات النّقص، وبعبـارة أُخرى: الكماليّة والجلاليّة والتّنزيهيّة، أو بحسب المشهور الصّفات الثّبوتيّة والزّائدة والسّلبيّة.

نعم، نجد المنشأ الحقيقي لهذا التّقسيم الثّلاثي موجوداً في القرآن والحديث، وهو أنّ الصّفات بعضها ثابتة لله سبحانه بوجه عام، من دون استثناء وقت أو فرد كالعلم، فإنّه ـ عزّ شأنه ـ بكل شيءٍ عليم؛ عليم في كلّ أينٍ وآنٍ، وفي كلّ مكانٍ وزمانٍ، لم يزل عالماً بكلّ شيءٍ ولا يزال.

والقسم الثّاني من المعاني منفيّة عن الله كـذلك منفيّة بوجه عام وبـدون استثناء وقت أو مقام كالظّلم، فـلا يظلم ربّك أحداً، فكما أنّ العلم ثابـت له ولا يزال، كـذلك الظّلم منفيّ عنه على الإطلاق في كلّ حال.

والقسم الثّالث من صفـات الله وسط بين القسمين، فـلا هو كلّـي الثّبـوت، ولا هو كلّـي السّلب؛ مثل الإرادة، فإنّها قد تثبت لربّنا ـ عز وجلّ ـ بالنّظر إلى شيء، وقد تنتفي عنه بالنّظر إلى شيء آخر، كما في آيـة: ﴿يُريـد الله بكم اليسر ولا يريـد بكم العسر﴾ (البقرة:١٨٦) ومتى كان المعنى يستحقّ الثّبـوت تـارة ويستحـقّ النّفي أُخـرى فهـو غير ضروريّ الإيجاب، كما هـو غير ضروريّ السّلب.

هذه ثلاثة أقسام في صفات الله يمتاز كلّ منها عن البقيّة بحسب ظواهر الكتاب والسنّة، بل وبحسب ضرورة العقل أيضاً ؛ إذ كلّ وصف قيس إلى ذات؛ فإمّـا أن يكون ضروريّ الثبوت لها، أو يكـون ضروريّ السّلب عنهـا، أو يكـون غير ضروريّ الثّبـوت للـذّات كما هـو غير ضروريّ السّلب عنهـا، الأمر الّـذي دعا شيـوخ أسلافنـا إلى القسمة الثّـلاثيّة في صفـات الله وتسميتهم القسم الأوّل بصفات الـذّات أو الثّبوتيّة. والقسم الثّـاني بصفات التّنزيهيّـة أو السّلبيّة. والقسم الثّالث بصفات الفعل أو الزّائدة، ويريدون بالفعل ضدّ الشّأن، وإن كان الأنسب عندنا تسمية الأقسام بالذّاتيّة والنّسبيّة والسّلبيّة. ش.

صفات ذاته [١].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: صفات الله تعالى على ضربين:

أحدهما: منسوب إلى الذّات، فيقال: صفات الذّات.

وثانيهما [٢]: منسوب إلى الأفعال، فيقال: صفات الأفعال، والمعنى في قولنا صفات الذّات: أنّ الذّات مستحقّة لمعناها استحقاقاً لازماً لا لمعنى سواها، و معنى صفات الأفعال: هو أنّها تجب بوجود الفعل ولا تجب قبل وجوده، فصفات الذّات لله تعالى هي الوصف له بأنّه حيّ، قادر، عالم ألا ترى أنّه لم يزل مستحقّاً لهذه الصّفات ولا يزال. ووصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق، رازق، محيي، مميت، مبدئ، معيد، ألا ترى أنّه قبل خلقه الخلق لا يصحّ وصفه بأنّه خالق وقبل إحيائه [٣] الأموات لا يقال إنّه محيي. وكذلك القول فيما عدّدناه، والفرق بين صفات الأفعال و صفات الذّات: أنّ صفات الذّات لا يصحّ لصاحبها الوصف بأضدادها ولا خلوّه منها، وأوصاف الأفعال يصحّ الوصف لمستحقّها بأضدادها وخروجه عنها، ألا ترى أنّه لا يصحّ [وصف الله] [٤] تعالى بأنّه يموت، ولا [بأنّه يعجز، ولا بأنّه يجهل] [٥] ولا يصحّ الوصف له بالخروج عن كونه حيّاً عالماً قادراً، ويصحّ الوصف بأنّه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محيي لميّت بعينه، ولا مبدئ لشيء في هذه الحال، ولا معيد له. ويصحّ الوصف له ـ جلّ وعزّ ـ بأنّه يرزق ويمنع ويحيي ويميت ويبدئ ويعيد ويوجد ويعدم، فثبتت العبرة في أوصاف الذّات وأوصاف الأفعال [٦]، والفرق بينهما ما ذكرناه.

---

(١) الاعتقادات ص ٢٧.

(٢) «أ» «ح» «ش» «ق»: والضّرب الآخر، «ز»: والآخر.

(٣) «أ» «ز» «ش»: إحياء.

(٤) «ز»: وصفه، «ق»: الوصف لله.

(٥) «ح» «ز»: يعجز ولا يجهل، «أ» «ق»: يعجز ويجهل.

(٦) «أ» «ح» «ز» «ش»: الفعل.

[خلق أفعال العباد]

فصل: في أفعال العباد

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنّه تعالى لم يزل عالماً بمقاديرها [١، ٢].

قال الشّيخ أبو عبد الله ـ رحمه الله ـ:[٣] الصّحيح عن آل محمّد ﷺ: أنّ أفعال العباد[٤] غير مخلوقة لله تعالى، والّذي ذكره أبو جعفر ـ رحمه الله ـ قد جاء به حديث غير معمول به ولا مرضيّ الإسناد، والأخبار الصّحيحة بخلافه، وليس يعرف في لغة العرب أنّ العلم بالشّيء هو خلق له، ولو كان ذلك كما قال

---

(١) الاعتقادات ص ٢٩.

(٢) عنه في البحار ٥: ١٩/ ٢٩. وراجع معاني الأخبار: ٣٩٦، بحار الأنوار ٥: ٣٠ الحديث ٣٧, ٣٨.

(٣) تبع الشّيخان الجليلان جمهور المتكلّمين في إفراد بحث الجبر عن بحث خلق الأفعال، وعن مبحث الهدى والضّلال، مع أنّ الجميع فروع من نظريّة الجبر، ومن فاز بحلّ مشاكل هذه الأخيرة فاز بالنّجاة من صعوبات البقيّة. ش.

(٤) إنّ لهذا البحث وبيان المقصود منه تقريراً من وجهين: كلامي، ونفسيّ؛ أمّا النفسيّ ـ وهو المقصود لدى الفلاسفة وعلماء التّربية ـ فهو أنّ الإنسان في أفعاله ـ وفي مقدّمتها الطّلب والإرادة ـ هل هو حرّ مختار ومستقلّ في إيجاد أفعاله؟ أو هو مجبور باقتضاء العوامل الأُخرى المتصرّفة فيه من الدّاخل والخارج؟ فإنّ اختلاف التّربية والتّهذيب يؤثّران بالحسّ والتّجربة على الإنسان في اختلاف إرادته ومطالبه وتكييف أحواله وإصدار أعماله، وهذا البحث يختلف عن ⇐

المخالفون للحق [1] لـوجب أن يكـون من علم النّبيّ ﷺ فقد خلقـه، ومن علم السّماء والأرض فهو خالق لهما، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرّره في نفسه لوجب أن يكـون خالقاً له، وهذا محال لا يـذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعيّة الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ فضلاً عنهم.

فأمّا التّقـدير؛ فهـو الخلق في اللّغة، لأنّ التّقديـر لا يكون إلاّ بـالفعل، فأمّا بـالعلم فلا يكـون تقـديراً ولا يكـون أيضاً بـالفكـر، والله تعالى متعـالٍ عن خلق الفواحش والقبائح على كلّ حال [2].

وقد روي عن أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الـرّضا ـ صلوات

⇦ المبحث الكلاميّ الآتي ذكره اختلافاً واضحاً وإن خفي على الجمهور.

وأمّا البحث الكلاميّ ـ وهو المبحوث عنه لدى علماء الكلام وزعماء الطّوائف الإسلاميّة ، ولا يزالون مختلفين فيه ـ فهو أنّ الإنسان ـ وإن بلغ رشده وأشدّه وخوطب بـالتّكاليف الإلهيّة ـ هل هـو مختار في أفعـاله، حـرّ في إرادته، مستقلّ في الطلب؟ أو أنّ الله تعـالى هو الخالق في الحقيقـة لجميع ما يصدر من الإنسان في الظّاهر، وهو كـآلة صمّـاء في أداء ما يجري على يديه من أفعال خالقـه، فعلى هذا يكون الإنسان فـاعلاً با لمجـاز في كلّ ما يُنسب إليه من أفعالـه مباشرة، وإنّما يكون المنسـوب إليه حقيقة هو الله تعـالى وحده، وهذا الـوجه يشترك مع الوجه السّـابق عليه في سلب اختيار العبد واضطراره في أفعاله طرّاً، وهما بناءً عليه يستلزمان الجبر معاً، ويُسمّى البحث الكـلاميّ بحث الجبر الدّينيّ، كما يُسمّـى البحث النّفسيّ بحث الجبر التّكوينيّ، والفـرق بينهما يبـدو من وجوه أهمّهـا أنّ المنسـوب إليـه في الجبر الدّينيّ إنّما هـو الله وحـده، وهـو الّذي أمـر بالحسنـات ويثيب بحسبها، وهـو الّذي نهى عن السّيّئات ويُعـاقب عليها، وفي صـورة كهذه يصعب جدّاً تصور الإيمان بعدالة من أجرى على يديك السّـيّئات وهو في نفس الوقت مؤاخذك بها ومعاقبك عليها، نعم إنّ الجبر التّكوينيّ يقضي أيضاً باضطرار العبد فيما يأتيه، غير أنّه يجعل مصادر الحسنات والسّـيّئات غير مصدر الثّواب والعقاب. ش.

(١) بحار الأنوار ٥: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٥: ٢٠.

الله عليهم ـــ: أنّـه سئل عن أفعـال العباد، فقيل لـه: [هل هـــي] (١) مخلـوقة لله تعـالى؟ فقـال ـعليه السّلام ـ: لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها. وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾(٢) ولم يــرد البراءة مـن خلق ذواتهم، وإنّما تبرّأ من شركهم وقبائحهم(٣).

وسأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر ـعليهما السّلام ـ عن أفعال العباد ممّن هي؟ فقال له أبو الحسن ـعليه السّلام ـ: إنّ [أفعال العباد] (٤) لا تخلو من ثلاثة منازل: إمّا أن تكون من الله تعالى خاصّة، أو من الله ومن العبد على وجه الاشتراك فيها، أو من العبد خاصّة، فلو كانت من الله تعالى خاصّة لكان أولى بالحمد على حُسنها والذّمّ على قُبحها، ولم يتعلّق بغيره حمد ولا لوم فيها، ولو كانت من الله ومن العبد لكان الحمد لهما معاً فيها والذّمّ عليهما جميعاً فيها، وإذا بطل هذان الوجهان ثبت أنّها من الخلق، فإن عـاقبهم الله تعالى على جنـايتهم بها فله ذلك، وإن عفـا عنهم فهو أهل التّقوى وأهل المغفرة.

وفي أمثال ما ذكرناه من الأخبار و معانيها ما يطول به الكلام.

فصل:

وكتاب الله تعـالى مقدّم على الأحـاديث(٥) والرّوايـات، وإليه يُتقـاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون ما سواه.

---

(١) «أ» «ح» «ق» «ش»: أهِيَ.

(٢) التّوبة: ٣.

(٣) بحار الأنوار ٥: ٢٠.

(٤) «ق»: الأفعال.

(٥) «ز»: الأخبار.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[١] فخبّر بأنّ كلّ شيءٍ خلقه فهو حسن غير قبيح، فلو كانت القبائح من خلقه لنافى ذلك حكمه بحسنها، وفي حكم الله تعالى بحسن جميع ما خلق شاهد ببطلان قول من زعم أنّه خلق قبيحاً[٢].

وقال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[٣] فنفى التّفاوت عن خلقه[٤]، وقد ثبت أنّ الكفر والكذب متفاوت في نفسه، والمتضاد[٥] من الكلام متفاوت! فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنّه خالق لأفعال العباد و في أفعالهم من التّفاوت والتّضاد[٦] ما ذكرناه مع قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ فنفى ذلك وردّ على مضيفه[٧] إليه وأكذبه فيه.

---

(١) السّجدة: ٧.

(٢) ليس هذا الكلام وحده ولا هذه الآية وحدها شاهد الفئة العدليّة وشيخها الشّارح ـ طاب ثراه ـ عند إبطاله لنظريّة الجبر وتصحيحه لإسناد أفعال العباد إلى أنفسهم؛ إذ كلّ آية نزّهت ربّنا سبحانه عن الشّرور وخلق الآثام تؤيّده، وكذلك الدّلائل التي قضت بأنّ الشّرور أُمور سلبيّة غير ثابتة في متن الأعيان ولا مبدأ لها ولا علّة تقوّي أيضاً كلام الشّيخ ـ طاب ثراه ـ وكذلك القياسات الّتي أقامها علماء اللاّهوت بغرض إثبات أنّ المبدأ الأوّل (واجب الوجود) مصدر كلّ خير و جُود، ولا ولن يرى شرّما من ناحيته القدسيّة. ش.

(٣) الملك: ٣.

(٤) يجوز أن يكون الخلق هنا مصدراً مرادفاً للإيجاد لا اسم مصدر مرادفاً للموجود؛ كما ذكر في المتن، فيكون المراد ـ والله أعلم ـ أنّه سبحانه لا يتفاوت عليه خلق الأشياء صغيرها من كبيرها، أو حقيرها من خطيرها، أو قليلها من كثيرها، ولا يلزم من العدول عن تفسير الشّيخ ـ قدّس سرّه ـ وهن ما في أصل رأيه. ش.

(٥) «ق» «ش»: والتّضاد.

(٦) ليست في بقيّة النّسخ.

(٧) «ق»: من يضيفه.

فصل: في الفرق بين الجبر و التّفويض

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ[1]: لا جبر ولا تفويض [2]، بل[3] أمر بين أمرين[4].

وروى في ذلك حديثاً مرسلاً قال: فقيل: وما أمرٌ بين أمرين؟ قال: مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الّذي أمرته با لمعصية.

قال الشّيخ المفيد ـ عليه الرّحمة ـ: الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقهر[5] والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق[6] من غير أن يكون لهم[7] قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبّر عمّا يفعله الإنسان بالقدرة الّتي معه على وجه الإكراه له على التّخويف والإلجاء أنّه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدّمناه، وإذا تحقّق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه، لأنّهم يزعمون [كان

(١) الاعتقادات ص ٢٩.

(٢) الكافي١: ١٦٠/ ١٣، التّوحيد: ٣٦٢/ ٨، وعنه في البحار ٥: ١٧/ ٢٨.

(٣) «ح»: ولكن.

(٤) «أ» «ش»: الأمرين.

(٥) في بعض النّسخ: بالقسر.

(٦) «ش» «ق»: الحيّ.

(٧) «ش» «ق»: له.

مذهب الجبر هو قول من يزعم] [١] أنّ الله تعالى خلق في العبد الطّاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها والامتناع منها، وخلق فيه المعصية كذلك، فهم المجبّرة حقّاً [والجبر مذهبهم على] [٢] التّحقيق [٣].

والتّفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاءوا من الأعمال، وهذا قول الزّنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أنّ الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرّسوم [ونهاهم عن] [٤] القبائح بالزّجر و التّخويف، والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها. فهذا هو الفصل بين الجبر والتّفويض على ما بيّنّاه.

(١) ليست موجودة في بقيّة النّسخ، وإنّما هي من المطبوعة.

(٢) في بعض النّسخ: والجبريّة مذهبهم في.

(٣) أُنظر (الدلائل والمسائل - ص ٦٢ - ٦٣ ج ١ ط بغداد) العلاّمة الشهرستاني. ج.

(٤) في بعض النّسخ: ومنعهم من.

فصل: في الإرادة والمشيئة

قال الشّيخ أبـو جعفر ـ رحمه الله ـ[١,٢] نقول: شاء الله وأراد[٣] ولم يحبّ ولم

(١) الاعتقادات ص ٣٠.

(٢) عنه في البحار ٥: ٩٠ ـ ٩١/ ١.

(٣) هـذا الفصل من فروع بحث الإرادة، وقـد استحقّ من المتكلّمين عنـاية وعنـوانـاً مفرداً على أثـر الاختلاف العظيم بين العلماء وزعماء المذاهب في المشيئـة الإلهيّة المذكورة في آيات الـذّكر الحكيم متعلّقة بـأمور غير مرضيّـة لديه سبحـانه، ثمّ في تأويلهـا بوجوه لا تخلـو عن التّكلّف في الأكثر، وأهمّها آية الأنعام: ١٤٨ ﴿سيقول الّـذين أشركوا لو شاء الله مـا أشركنا ولا آباؤنا ولا حـرّمنا من شيء كذلك كـذّب الّذين من قبلهم حتّى ذاقـوا بأسنا قل هل عنـدكم من علم فتخرجـوه لنا إن تتّبعون إلاّ الظّنّ وإنْ أنتم إلاّ تخرصون﴾ ثمّ آية الزّخرف: ٢٠ ﴿وَقالوا لو شاء الرّحمٰن ما عبدناهم ما لهم بـذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون﴾ وآيات كثيرة تـوهم تعلّق إرادة الخالق بما يستقبحه المخلوق، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

أمّا السلف الصّالح من آل محمّد؛ فلا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق في الإصرار على تنزيه الرّبّ سبحـانه وتقدّسـه عن كلّ ما هو قبيـح أو شبه قبيح وشدّة استنكـارهم تعلّق مشيئة الله أو إرادتـه بشرك أو ظلم أو فـاحشـة قط، فضلاً عن فعلـه أو خلق فعلـه أو الأمـر بـه؛ إذ كلّ ذلك عنـدهم خلاف حكمتـه وعدلـه وفضله، كـذلك الحسّيّات العـامّة في البشر تجلّ ذوي العـدل والفضل عنِ التّمدّح بإرادة القبائح، فكيف ترمي بها الحرم الإلهي.

أمّا الجواب عـن الآيتين فبأنّ المقالة فيهما عـن لسان المشركين، ومقالـة المشركين من شأنها أن تورد للردّ عليها لا للأخذ بها، فالآيتان إذن حجّتان لأهل العدل لا عليهم، ولا سيّما بعد اشتمالهما على ذمّ القائلين بهذه المقالة ونسبتهم إلى التّخرّص والجهالة.ش.

يرض، وشاء ـ عزّ اسمه ـ ألاّ يكون شيء إلاّ بعلمه وأراد مثل ذلك[١].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: الّذي ذكره الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في هذا الباب لا يتحصّل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسّبب في ذلك أنّه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممّن يرى النّظر فيميّز بين الحقّ منها والباطل ويعمل على ما يوجب الحجّة، ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرّواة كانت حاله في الضّعف ما وصفناه[٢]. والحقّ في ذلك: أنّ الله تعالى لا يريد

---

(١) الكافي ١: ١٥١/ ٥، التّوحيد: ٣٣٩/ ٩.

(٢) ذهبت أنظار العلماء مذاهب شتى في الإرادة والمشيئة المذكورتين في بعض الآيات، فمن قائل إنّ الإرادة أزليّة وعين ذاته سبحانه ومتعلّقاتها حوادث تتجدّد بتجدّد العلاقات الوقتيّة، فالمشرك بالله اليوم لم تتعلّق بهدايته إرادة الله في الأزل بخلاف المؤمن الّذي قد تعلّقت بهدايته الإرادة الأزليّة.

وقائل آخر: إنّ الإرادات الربّانيّة تتجدّد بتجدّد الكائنات والحادثات، أو أن إرادته (بالأحرى) هي الخلق ما ظهر منه وما بطن، وما قبح منه أو حسن، وثالث في القوم يرى الإرادة والمشيئة عبارتين عن الدّاعي إلى الفعل أو الدّاعي إلى تركه، ولا يكون الدّاعي الإلهي إلاّ حسناً وصالحاً فيريد اليسر ولا يريد العسر، ويشاء الإيمان ولا يشاء الكفر، ورابع فيهم لا يرى الإرادة والمشيئة شيئاً سوى العلم بالمصلحة أو العلم بالمفسدة، غاية الأمر مصلحة خاصّة ومفسدة مخصوصة، وقد فصّلت أقوالهم وأدلّتهم في الكتب الكلاميّة، وما خلافهم هذا إلاّ فرعاً من اختلافهم في أصل الإرادة الإلهيّة.

وجدير بالمرء أن يقنع في هذه الورطة باعتقاد: أنّ الله سبحانه مريد فقط ولا يريد شيئاً من السيّئات والقبائح قطّ، دون أن يتعمّق في كُنه الإرادة والمشيئة، هذا ما يقتضيه العقل والعدل وتقضي به ظواهر الكتاب والسنّة، فكلّما صادفته آية أو رواية مخالفة لهذا الاعتقاد لجأ إلى تأويلها تأويلاً مناسباً لأُصول البلاغة واللّغة ومتّفقاً مع المذهب، وخير كتاب يسكّن النّفس ويروي الغليل في هذا المقام كتاب «متشابه القرآن ومختلفه» للعالم الثّقة محمّد بن شهر آشوب السّرويّ ـ روّح الله روحه.

⇐

إلاّ ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلاّ الجميل من الأعمال ولا يريد القبائح ولا يشاء الفواحش، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [3] الآية.

وقال: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا

وقال العلاّمة الإمام حجّة العلم والدّين السيّد عبد الحسين شرف الدّين العامليّ ـ مدّ ظلّه ـ في رسالته النّفيسة (إلى المجمع العلميّ العربيّ بدمشق ـ ص ٥٠ ـ٥٢ ط صيدا) ما نصّه: وكفى في فضل ابن شهر آشوب إذعان الفحول من أعلام أهل السنّة له بجلالة القدر وعلوّ المنزلة، وقد ترجمه الشّيخ صلاح الدّين الصّفديّ خليل بن أيبك الشّافعيّ، فذكر أنّه حفظ أكثر القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النّهاية في أُصول الشّيعة، (قال): وكان يُرحل إليه من البلاد، ثمّ تقدّم في علم القرآن والغريب والنّحو ووعظ على المنبر أيّام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه،وقال: وكان بهيّ المنظر، حسن الوجه والشّيبة، صدوق اللّهجة، مليح المحاورة، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتّهجّد، لا يكون إلاّ على وضوء «قال»: وأثنى عليه ابن أبي طي في تاريخه ثناءاً كثيراً، توفّي سنة ٥٨٨.

وذكره الفيروز آبادي في محكيّ بُلغته، وأثنى عليه بما يقرب من ثناء الصّفديّ، وذكر أنّه عاش مائة سنة إلاّ عشرة أشهر.

وعن بعض أهل المعاجم في التّراجم من أهل السنّة أنّه قال في ترجمته: وكان إمام عصره، ووحيد دهره، أحسن الجمع والتّأليف، وغلب عليه علم القرآن والحديث، وهو عند الشّيعة كالخطيب البغداديّ لأهل السنّة في تصانيفه وتعليقات الحديث ورجاله ومراسيله، ومتّفقه ومتفرّقه إلى غير ذلك من أنواعه، واسع العلم، كثير الفنون، مات في شعبان سنة ٥٨٨ هـ. ج.

(١) المؤمن: ٣١.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) النّساء: ٢٦.

﴿مَيْلاً عَظِيماً﴾[١].

وقال: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾ [٢] فخبّر سبحانه أنّه لا يريد بعباده العسر، بل يريد بهم اليسر، وأنّه يريد لهم البيان ولا يريد لهم الضّلال، ويريد التّخفيف عنهم ولا يريد التّثقيل عليهم، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنافى ذلك إرادة البيان لهم والتّخفيف عنهم واليسر لهم، وكتاب الله تعالى شاهد بضدّ ما ذهب إليه الضّالّون المفترون على الله الكذب، تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً.

فأمّا ما تعلّقوا به من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [٣] فليس للمجبّرة به تعلّق ولا فيه حجّة من قبل أنّ المعنى فيه أنّ من أراد الله تعالى أن ينعّمه ويثيبه جزاء على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطاف الّتي يحبوه بها، فييسّر له بها استدامة أعمال الطّاعات، والهداية في هذا الموضع هي النّعيم[٤].

قال الله تعالى فيما خبّر به عن أهل الجنّة: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا﴾ [٥] الآية، أي: نعّمنا به وأثابنا إياه، والضلال في هذه الآية هو العذاب؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ﴾ [٦] فسمّى الله تعالى العذاب ضلالاً والنعيم هداية، والأصل في ذلك أنّ الضّلال هو الهلاك والهداية هي النّجاة.

---

(١) النّساء: ٢٧.

(٢) النّساء: ٢٨.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

(٤) في بعض النّسخ: التّنعيم.

(٥) الأعراف: ٤٣.

(٦) القمر: ٤٧.

قال الله تعالى حكاية عن العرب: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [(١)] يعنون إذا هلكنا فيها وكان المعنى في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ ما قدّمناه و بيّنّاه، ﴿و من يرد أن يضلّه﴾ ما وصفناه، والمعنى في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ يريد سلبه التّوفيق عقوبة له على عصيانه ومنعه الألطاف جزاءً له على إساءته، فشرح الصّدر ثواب الطّاعة بالتّوفيق، وتضييقه عقاب المعصية بمنع التّوفيق، وليس في هذه الآية على ما بيّنّاه شبهة لأهل الخلاف فيما ادّعوه من أنّ الله تعالى يضلّ عن الإيمان، ويصدّ عن الإسلام، ويريد الكفر، ويشاء الضّلال.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ [(٢)] فالمراد به الإخبار عن قدرته، وأنّه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً، لكنّه شاء تعالى منهم الإيمان على الطّوع والاختيار، وآخر الآية يدلّ على ما ذكرناه وهو قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [(٣)] يريد أنّه قادر على إكراههم على الإيمان، لكنّه لايفعل ذلك، ولو شاء لتيسّر عليه، وكلّ ما يتعلّقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بيّنّاه، وفرار المجبّرة من إطلاق القول بأنّ الله تعالى يريد أن يعصى ويكفر به، ويقتل أولياؤه، ويشتم أحبّاؤه إلى القول بأنّه يريد أن يكون ما علم كما علم، ويريد أن تكون معاصيه قبائح منهيّاً عنها، وقوع فيما هربوا منه، وتورّط فيما كرهوه، وذلك أنّه إذا كان ما علم من القبيح كما علم

---

(١) السّجدة: ١٠.

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) يونس: ٩٩.

وكان تعالى مريـداً لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكـون قبيحـاً فما معنى فـرارهم من شيء إلى نفسـه وهـربهم من معنى إلى عينـه، فكيف يتمّ لهم ذلك مع أهل العقـول، وهل قـولهم هـذا إلاّ كقـول إنسـان: أنـا لا أسبّ زيداً لكنّي أسبّ أبا عمرو، وأبو عمرو هـو زيد، أو كقول اليهود إذ قالوا سخرية بأنفسهم: نحن لا نكفر بمحمّد ﷺ لكنّا نكفر بأحمد، فهذا رعونة وجهل ممّن صار إليه، وعناء وضعف عمل[1] ممّن اعتمد عليه.

---

(١) «ق»: عقل.

[تفسير آيات القضاء والقدر]

فصل: فيما ذكر الشّيخ أبو جعفر في القضاء والقدر

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في القضاء والقدر: الكلام في القدر منهيّ عنه، وروى حديثاً لم يذكر له إسناداً[١, ٢].

قال الشّيخ أبو عبد الله المفيـد ـ عليه الرّحمة ـ[٣]: عوّل[٤] أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه يعرفها العلماء متى صحّت وثبت إسنادها ولم يقل فيه قولاً محصّلاً، وقد كان ينبغي له لمّا لم يكن يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه، والقضاء معروف في اللّغة وعليه شواهد من القرآن، فالقضاء على أربعـة أضرب: أحدهـا: الخلق، والثّاني: الأمـر، والثّـالث: الإعلام، والـرّابع: القضاء [في الفصل بالحكم][٥].

فأمّا شـاهد القضـاء في معنى الخلق فقولـه تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ـ إلى قولـه ـ: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٦] يعنى خلقهنّ سبع سموات في يومين.

---

(١) الاعتقادات ص ٣٤.

(٢) التّوحيد: ٣٦٥.

(٣) عنه في البحار ٥: ٩٧/ ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٤) في بقية النّسخ: عمل.

(٥) في بعض النّسخ: بالفصل في الحكم.

(٦) فصّلت: ١١، ١٢.

وأمّا شاهد القضاء في معنى الأمر فقوله تعالى: ﴿وَقَضَى ربّكَ أَلاَّ تَعْبُدوا إلاَّ إِيَّاهُ﴾ [١] يريد أمر ربّك.

وأمّا شاهد القضاء في الإعلام فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٢] يعني أعلمناهم ذلك وأخبرناهم به قبل كونه.

وأمّا شاهد القضاء بالفصل [٣] بالحكم بين الخلق فقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [٤] [يعني يفصل بالحكم] [٥] بالحقّ بين الخلق وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ﴾ [٦] يريد وحكم بينهم بالحقّ، وفصل بينهم بالحق.

وقد قيل إنّ للقضاء وجهاً خامساً وهو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف ـ عليه السّلام ـ: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [٧] يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق، وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبرّة أن الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه، لأنّه لا يخلو إمّا أن يكونوا يريدون به أنّ الله خلق العصيان في خلقه؛ فكان يجب أن يقولوا قضى في خلقه [٨] بالعصيان ولا يقولوا قضى عليهم، لأنّ الخلق فيهم لا عليهم، مع أنّ الله تعالى قد أكذب من زعم أنّه خلق المعاصي [٩] لقوله [١٠] سبحانه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [١١] فنفى عن خلقه القبح وأوجب له الحسن، والمعاصي قبائح بالاتّفاق، ولا وجه لقولهم قضى بالمعاصي [١٢] على معنى أنّه أمر بها، لأنّه تعالى قد

---

(١) بني إسرائيل: ٢٣.
(٢) بني إسرائيل: ٤.
(٣) في المطبوعة: في الفصل.
(٤) غافر: ٢٠.
(٥) «ق»: أي يحكم بينهم.
(٦) الزّمر: ٦٩.
(٧) يوسف: ٤١.
(٨) «ز»: الخلق.
(٩) بحار الأنوار ٥:٩٨.
(١٠) في بقيّة النّسخ: بقوله.
(١١) السّجدة: ٧.
(١٢) في بقيّة النّسخ: المعاصي.

أكذب مدّعي ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [(١)] ولا معنى لقول من زعم أنّه قضى بالمعاصي على معنى أنّه أعلم الخلق بها إذا كان الخلق لا يعلمون أنّهم في المستقبل يطيعون أو يعصون ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التّفصيل، ولاوجه لقولهم إنّه قضى بالذّنوب على معنى أنّه حكم بها [(٢)] بين العباد، لأنّ أحكامه [(٣)] تعالى حقّ والمعاصي منهم [(٤)] ولا لذلك فائدة وهو لغو بالاتّفاق، فبطل قول من زعم أنّ الله تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الّذي بيّنّاه في معناه أنّ لله تعالى في خلقه قضاءً وقدراً وفي أفعالهم أيضاً قضاءً وقدراً معلوماً ويكون المراد بذلك أنّه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها وفي أفعالهم القبيحة بالنّهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له، والقدر منه سبحانه فيما فعله [(٥)] إيقاعه في حقّه و موضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنّهي والثّواب والعقاب، لأنّ ذلك كلّه واقع موقعه، موضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً، فإذا فسّر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشّنعة منه، وثبتت الحجّة به، ووضح [(٦)] الحقّ فيه لذوي العقول، ولم يلحقه فساد ولا إخلال.

---

(١) الأعراف: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٥:٩٩.

(٣) «أ» «ح» «ز» «ق» «ش»: أحكام الله.

(٤) «ش» «ق»: فيهم.

(٥) بحار الأنوار ٥:٩٩.

(٦) «ش» «ق»: وصحّ.

[تفسير أخبار القضاء والقدر]

فأمّا الأخبـار الّتي رواها أبو جعفر ــ رحمه الله ـ[1] في النّهي عن الكـلام في القضاء والقدر فهي تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكـون النهي خـاصّـاً بقـوم كـان كـلامهم في ذلك يفسـدهم ويضلّهم عن الدّين ولا يصلحهم في عبادتهم إلاّ الإمسـاك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النّهي عنه عامّاً لكافّـة المكلّفين، وقد يصلح بعض النّاس بشيء يفسد به آخرون، ويفسـد بعضهم بشيء يصلح بـه آخرون، فـدبّر [2] الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ أشياعهم في الدّين بحسب ما علموه [3] من مصالحهم فيه.

وثانيهما[4]: أن يكون النّهي عن الكلام في القضاء والقدر النّهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابـه وعمّـا أمر به وتعبّد [5]، وعن القول في علل ذلك إذا كـان طلب علل الخلق والأمـر محظـوراً، لأنّ الله تعـالى سترهـا عن أكثـر خلقه، ألا تـرى أنّه لا يجوز لأحد أن يطلب لخلقـه جميع ما خلق علـلاً مفصّلات فيقول لم خلق كذا وكذا؟ حتّى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها، ولا يجوز أن يقول: لِـمَ أمر بكذا؟ أو تعبّد بكذا؟ ونهى عن كـذا؟ إذ تعبّده بذلك وأمره لما هو أعلم به

---

(١) عنه في البحار ٥:١٩٦/ ١ ـ ٨.

(٢) «ق»: وقد أمر.

(٣) «ق»: علموا.

(٤) في بقيّة النّسخ: والوجه الآخر.

(٥) بحار الأنوار ٥: ٩٩.

من مصالح الخلق ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل علل ما خلق وأمر به وتعبّد، وإن كان قد أعلم في الجملة [(١)] أنّه لم يخلق الخلق عبثاً وإنّما خلقهم للحكمة والمصلحة، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع.

فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [(٢)] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ [(٣)] وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [(٤)] يعني بحقّ ووضعناه في موضعه وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [(٥)] وقال فيما تعبّد به: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [(٦)].

وقد يصحّ أن يكون الله تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه [(٧)] بأنّه يؤمن عند خلقه كفّار، أو يتوب عند ذلك فسّاق، أو ينتفع به مؤمنون، أو يتّعظ به ظالمون، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السّماء وذلك مغيّب عنّا، وإن قطعنا في الجملة أنّ جميع ما صنع الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكيمة [(٨)] ولم يصنعه عبثاً، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصّلاة لأنّها تقرّبنا من طاعته وتبعّدنا عن [(٩)] معصيته، وتكون العبادة بها لطفاً لكافّة المتعبّدين بها أو لبعضهم، فلمّا خفيت هذه الوجوه [(١٠)] وكانت مستورة عنّا ولم يقع دليل على التّفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النّهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو نهي عن طلب علل لها مفصّلة، فلم يكن نهياً عن

---

(١) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.
(٢) الأنبياء: ١٦.
(٣) المؤمنون: ١١٥.
(٤) القمر: ٤٩.
(٥) الذّاريات: ٥٦.
(٦) الحجّ: ٣٧.
(٧) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.
(٨) «أ» «ق»: حكميّة، «ح» «ش»: حكمته.
(٩) «ق» «ش»: من.
(١٠) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

الكلام في معنى القضاء والقدر.

هذا إن سلّمنا [١] الأخبار الّتي رواها [٢] أبو جعفر ـ رحمه الله.

فأمّا إن بطلت أو اختلّ سندها فقد سقط عنّا [٣] عهدة الكلام فيها.

والحديث الّذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء، وهو مؤيّد للقول بالعدل [٤] ودالّ على فساد القول بالجبر، ألا ترى إلى ما رواه عن أبي عبد الله ـ عليه السّلام ـ [٥] من قوله: «إذا حشر الله تعالى الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم» وقد نطق القرآن بأنّ الخلق مسؤولون عن أعمالهم [٦]، فلو كانت أعمالهم [بقضاء الله] [٧] تعالى لما سألهم عنها، فدلّ على أن قضاء الله تعالى ما خلقه من ذوات العباد وفيهم وأنّه تعالى لا يسألهم إلاّ عن أعمالهم الّتي عهد إليهم فيها، فأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، وهذا الحديث موضّح لمعنى القضاء والقدر، فلا وجه [للقول حينئذ بأنّه] [٨] لا معنى للقضاء والقدر معقول؛ إذ كان بيّناً حسبما ذكرناه.

---

(١) في بقيّة النّسخ: سلّمت.

(٢) «ح» «ق»: أوردها.

(٣) «ح» «ش»: عنها.

(٤) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

(٥) التّوحيد: ٣٦٥.

(٦) بحار الأنوار ٥: ١٠٠

(٧) «ق»: بقضائه.

(٨) «ق»: لقول من زعم أنّه.

[معنى فطرة الله]

قال أبو جعفر ـ رحمه الله ـ[1] في معنى الفطرة: إنّ الله تعالى فطر [جميع الخلق][2] على التّوحيد[3].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: ذكر أبو جعفر ـ رحمه الله ـ الفطرة ولم يبيّن معناها! وأورد الحديث على وجهه ولم يذكر فائدته، والمعنى في قوله ـ عليه السّلام ـ فطر الله الخلق، أي: ابتدأهم بالحدوث، والفطرة هي الخلق.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[4] يريد به خالق السموات والأرض على الابتداء والاستقبال، وقال: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[5] يعني خلقته الّتي خلق النّاس عليها [وهو معنى][6] قول الصّادق ـ عليه السّلام ـ: فطر الله الخلق على التّوحيد، أي: خلقهم للتّوحيد وعلى أن يوحّدوه، وليس

---

(١) عنه في البحار ٥: ١٩٦/ ١ـ٨.

(٢) «ق»: الخلائق.

(٣) الاعتقادات ص ٣٦.

(٤) الملائكة: ١.

(٥) الروم: ٣٠.

(٦) «ق»: والمعنى في.

المراد به أنّه [أراد منهم] (١) التّوحيد، ولو كان الأمر كذلك ما كان مخلوق إلاّ موحّداً، وفي وجودنا من المخلوقين من لا يوحّد الله تعالى دليل على أنّه لم يخلق التّوحيد في الخلق، بل خلقهم ليكتسبوا التّوحيد!

وقد قال تعالى في شاهد ما ذكرناه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) فبيّن أنّه إنّما خلقهم لعبادته.

وقد روي عن النّبي ﷺ رواية تلقّاها العامّة والخاصّة بالقبول، قال: كلّ مولود يولد فهو على الفطرة، وإنّما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه (٣). وهذا أيضاً مبين عن صحّة ما قدّمناه من أنّ الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه، وفطرهم ليوحّدوه، وإنّما أتي الضّالّون من قبل [أنفسهم و] من أضلّهم من الجنّ والإنس دون الله

---

(١) «ق»: خلق فيهم.

(٢) الذّاريات: ٥٦.

(٣) قال العلاّمة الشّهرستانيّ في مجلّة (المرشد ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ ج ١): الفطرة هي ما يقتضيه الشّيء لو خلّي ونفسه وبدون مانع، فإذا قيل: «الصّدق فطريّ في البشر» معناه أنّ الإنسان لو خلّي ونفسه فإنّ حالته الفطريّة تقتضي أن يصدق كلامه، وهذه الفطرة قد تدوم فيه كما هو الغالب، وقد تزول عنه بمانع أقوى فيلتجىء إلى الكذب، كما أنّ القائل: سقوط الحجر إلى الأرض طبيعيّ، معناه: أنّ الحجر المتحرّك حول الأرض لو خلّي ونفسه فحكمه السّقوط إلى الأرض، وهذا لا يمنع أن يتخلّف عن طبيعته لعارض وبسبب قاسر.

وعليه فكون دين الإسلام فطريّاً في البشر لا ينافي وجود سبب عارض يقسره يوماً على مخالفته الفطرة، وبعبارة فنيّة «إنّ الفطرة اقتضاء لا ضرورة» كما يصرّح بذلك حديث «كلّ مولود يولد على الفطرة، وإنّما أبواه يهوّدانه و ينصّرانه».

وأمّا معنى فطريّة دين الإسلام؛ فالرّاجح أنّه بعنوانه المجموعيّ، اي إنّ الإسلام إذا قيس إلى أيّ دين آخر كان هو دين الفطرة دون غيره ـ كما أشار إليه الحديث النّبويّ المتقدّم.

ومّما يريك دين الإسلام بلباسه الفطريّ، أنّ حقيقة الإسلام هو أن يسلّم المرء أمره إلى ⇐

تعالى، والّذي أورده أبو جعفر في بيان ...[1] الله الخلق وهدايتهم إلى الرّشد على ما ذكر وقد أصـاب في ذلك وسلك الطّريقة المثلى فيه وقال ما يقتضيـه العدل ويدلّ عليه العقل، وهـو خلاف مذهب المجبّرة الرّادّين على الله فيما قـال والمخالفين في أقوالهم دلائل العقول.

⇐ خالقه وأن يسالم المخلوقين، وهل هذا إلاّ قضيّة الفطرة.

قال سبحانه: ﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلـم وجهـه لله وهـو محسن﴾ (النساء: ١٢٥) أي: المسلم لله والمسالم لعباده.

وقال نبيّ الإسلام ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه».

ثمّ إن الإسلام بني على توحيد الله في ذاتـه وصفاته وتوحيده في عنايتـه وعبادته، وهل هذا إلاّ الفطرة، وأُسّس شرعه على العدل والإحسان والفضيلة والمحبّة، وكلّها أحكام الفطرة.

فالإسلام بهذا المعنى دين الفطرة وشرع الحقيقة، وهذا المعنى هو دين الله الحقيقيّ، وهو أقدم شرائع البشر من عهد إبراهيم ـ عليه السّلام ـ والّذين من قبله، والقرآن يقول في إبراهيم ـ عليه السّلام ـ إنّه: ﴿ كان حنيفاً مسلماً ﴾ (آل عمران: ٦٨) أي: متديّناً بالـدّين الأصليّ، أعني به إسلام الفرد نفسه لربّه ومسالمته مع عباده. ج.

(١) هنا في النسخ بياض بمقدار كلمة.

فصل: في [معنى] الاستطاعة

قال أبو جعفر ـ رحمه الله ـ[1] في الاستطاعة: اعتقادنا في ذلك ما روي عن موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ: من أنّ العبد لا يكون مستطيعاً إلاّ بأربع خصال[2]...إلخ[3].

قال أبو عبد الله: الّذي رواه أبو جعفر عن أبي الحسن موسى ـ عليه السلام ـ في الاستطاعة حديث شاذّ، والاستطاعة في الحقيقة هي الصّحّة والسّلامة، فكلّ صحيح فهو مستطيع، وإنّما يعجز الإنسان ويخرج عن الاستطاعة بخروجه عن الصّحّة، وقد يكون مستطيعاً للفعل من لا يجد آلة له ويكون مستطيعاً ممنوعاً من الفعل، والمنع لا يضادّ الاستطاعة وإنّما يضادّ الفعل، ولذلك يكون الإنسان مستطيعاً للنّكاح وهو لا يجد امرأة ينكحها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[4] فبيّن أنّ الإنسان يكون مستطيعاً للنّكاح وهو غير ناكح، ويكون مستطيعاً للحجّ قبل أن يحجّ، ومستطيعاً للخروج قبل أن يخرج.

---

(١) عنه في بحار الأنوار ٥: ٨,٩/ ١٠ـ١٢.

(٢) «ق» زيادة: أن يكون مخلّى السّرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله.

(٣) الاعتقادات ص٣٨، الكافي ١: ١٦٠ ـ١٦١، التّوحيد: ٣٤٨/ ٧ وفيهما عن الرّضا ـ عليه السّلام ـ.

(٤) النّساء: ٢٥.

قال الله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ (١) فخبّر أنّهم كانوا مستطيعين للخروج فلم يخرجوا.

وقال سبحانه: ﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (٢) فأوجب الحجّ على [النّاس و] (٣) الاستطاعة قبل الحجّ، فكيف ظنّ أبو جعفر أنّ من شرط الاستطاعة للزّنا وجود المزنيّ بها، وقد بيّنا أنّ الإنسان يستطيع ذلك مع فقد المرأة وتعذّر وجودها؟ وإن ثبت الخبر الّذي رواه أبو جعفر ـ رحمه الله ـ فالمراد بالاستطاعة فيه التّيسير للفعل وتسهيل سبيله، وليس عدم السبيل موجباً لعدم الاستطاعة، لما قدّمناه من وجود الاستطاعة مع المنع، وهذا باب إن بسطناه طال القول فيه، وفيما أثبتناه من معناه كفاية لمن اعتبره (٤).

---

(١) التّوبة: ٤٢.

(٢) آل عمران: ٩٨.

(٣) «ق»: من لم يحجّ، وأثبت.

(٤) «ق»: تأمّله.

فصل: في [معنى] البداء

قال أبو جعفر ـ رحمه الله ـ: اعتقادنا في البداء، إلى آخره [١،٢،٣].

قال أبو عبد الله: قول الإماميّة في البداء طريقه السّمع دون العقل، وقد [٤] جاءت الأخبار به عن أئمّة الهدى ـ عليهم السّلام ـ والأصل في البداء هو الظّهور.

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [٥] يعني به: ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حُسبانهم وتقديرهم، وقال: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ﴾ [٦] يعني: ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم ذلك، وتقول العرب: قد بدا لفلان عمل حسن، وبدا له كلام فصيح، كما يقولون: بدا من فلان كذا، فيجعلون اللاّم قائمة مقامه [٧]، فالمعنى في قول الإماميّة بدا لله في كذا ـ أي: ظهر له فيه ومعنى ظهر فيه ـ أي ظهر منه، وليس المراد منه [٨] تعقّب الرّأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه وجميع أفعاله تعالى الظّاهرة في خلقه

---

(١) الاعتقادات ص ٤٠.

(٢) عنه في البحار ٤: ١٢٥.

(٣) أُنظر كتاب أوائل المقالات ص ٥٣ طبع ١٣٧١ ج.

(٤) «ق»: فقد.

(٥) الزّمر: ٤٧.

(٦) الزّمر: ٤٨.

(٧) «ق» زيادة: مقام من نائبة عنها.

(٨) «ق»: به.

بعد أن لم تكن فهي معلومة له فيما لم يزل، وإنّما يـوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غـالب الظنّ وقوعه، فأمّا مـا علم كونه وغلب في الظنّ حصوله، فلا يستعمل فيه لفظ البداء.

وقول أبي عبد الله ـعليه السّلامـ [١]: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل»، فإنّما أراد به ما ظهـر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه وقد كـان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به، فلطف له في دفعه عنه.

وقد جاء الخبر بـذلك عن الصّادق ـعليه السّلامـ فروي عنـه أنّه قـال: «كان القتل قد كتب على إسماعيل مـرّتين فسألت الله في دفعه عنـه فدفعه» وقـد يكون الشّيء مكتوباً بشرط فيتغيّـر الحال فيه.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾ [٢].

فتبيّـن أنّ الآجـال على ضربين: ضرب منهـا مشترط يصحّ فيـه الـزّيـادة والنّقصان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتَابٍ﴾[٣]. وقولـه تعالى: ﴿وَلَـوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُـرَى آمَنُوا وَاتَّقَـوا لَفَتَحْنَـا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [٤] فبيّـن أنّ آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبرّ والانقطاع بالفسوق.

وقال تعالى [فيما خبّـر به] [٥] عن نوح في خطابـه لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

---

(١) التّوحيد: ٣٣٦/ ١٠، كمال الدّين: ٦٩.

(٢) الأنعام: ٢.

(٣) الملائكة: ١١.

(٤) الأعراف: ٩٦.

(٥) «ق»: خبراً.

إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرسِلِ السَّمَـاءَ عَلَيْكُمْ مِدرَاراً﴾ [١] إلى آخر الآيات.

فـاشترط لهم في مدّ الأجل وسبـوغ النّعم الاستغفـار، فلمّـا لم يفعلـوه قطع آجالهم وبتر أعمارهم واستأصلهم بالعذاب، فـالبداء من الله تعالى يختصّ ما كان مشترطاً في التّقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة ولا من تعقّب الرّأي، تعالى الله عمّـا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

وقد قـال بعض أصحابنـا: إنّ لفـظ البـداء أُطلق [٢] في أصل اللّغـة على تعقّب الرّأي [والانتقال من عـزيمة إلى عزيمة] [٣] وإنّما أُطلق [٤] على الله تعالى على وجه الاستعارة كما يطلق عليه الغضب والرّضا مجازاً غير حقيقة، وإنّ [٥] هذا القـول لم يضرّ بـا لمذهب، إذ المجـاز من القـول يطلق على الله تعـالى فيما ورد بـه السّمع، وقد ورد السّمع بالبداء على ما بيّنا [٦]، والّذي اعتمدناه [٧] في معنى البداء أنّه الظّهور [٨] على ما قـدّمت القول في معنـاه، فهو خـاصّ فيما يظهر من الفعل الّذي كان وقوعه يبعد في النّظر [٩] دون المعتاد؛ إذ لو كـان في كلّ واقع من أفعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفاً بالبداء في كلّ أفعاله، وذلك باطل بالاتّفاق.

---

(١) نوح: ١٠ , ١١.

(٢) «ق»: موضوع.

(٣) «ق»: عند وضوح ما كان خفياً.

(٤) «ق»: يطلق.

(٥) «ق» زيادة: صحّ.

(٦) «ق»: بيّنّاه.

(٧) «أ» «ز»: اعتمدنا.

(٨) «أ» «ز» «ق»: ظهور.

(٩) في بعض النّسخ: الظّنّ.

فصل: في النّهي عن الجدال

قال أبو جعفر [في الجدال] (1): الجدال في الله منهيّ عنه، لأنّه يؤدّي إلى ما لا يليق به (2).

وروي عن الصّادق ـ عليه السّلام ـ (3) أنّه قال: يهلك أهل الكلام وينجو المسلّمون(4).

قال أبو عبد الله الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: الجدال على ضربين: أحدهما بالحقّ، والآخر بالباطل، فالحقّ منه مأمور به ومرغّب (5) فيه، والباطل منه منهيّ عنه ومزجور عن استعماله.

قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (6) فأمر بجدال المخالفين وهو الحجاج لهم؛ إذ كان جدال النّبيّ ﷺ حقّاً، وقال تعالى لكافّة المسلمين: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (7) فأطلق لهم

---

(1) ليست في «ح» «أ» «ق».

(2) الاعتقادات ص ٤٢.

(3) بصائر الدّرجات: ٥٢١.

(4) بصائر الدّرجات: ٥٤١/ ٤ و٥، التّوحيد: ٤٥٨/ ٢٢.

(5) «ز»: مرغوب.

(6) النّحل: ١٢٥.

(7) العنكبوت: ٤٦.

جدال أهل الكتاب بالحسن [١]، ونهاهم عن جدالهم بالقبيح.

وحكى سبحانه عن قوم نوح -عليه السلام- ما قالوه في جدالهم [٢] فقال سبحانه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [٣] فلو كان الجدال كلّه باطلاً لما أمر الله تعالى نبيّه ﷺ به، ولا استعمله الأنبياء -عليهم السلام- من قبله، ولا أُذن للمسلمين فيه.

فأمّا الجدال بالباطل فقد بيّـن الله تبارك وتعالى عنه في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ [٤] فذمّ المجادلين في [آيات الله] [٥] لدفعها أو قدحها [٦] وإيقاع الشّبهة في حقّها.

وقد ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم -عليه السلام- أنّه حاجّ كافراً في الله تعالى فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [٧] الآية. وقال مخبراً عن حجاجه قومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [٨].

وقال سبحانه آمراً لنبيّه ﷺ بمحاجّة مخالفيه: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ

---

(١) في بقيّة النّسخ: بالحقّ.

(٢) «ح»: جداله لهم.

(٣) هود: ٣٢.

(٤) المؤمن: ٦٩.

(٥) «ح» «ق»: الآيات.

(٦) «ح» «ق»: جحدها.

(٧) البقرة: ٢٥٩.

(٨) الأنعام: ٨٣.

فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [١].

وقال ـ عزّ اسمه ـ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيل﴾ [٢] الآية. وقال لنبيّه ﷺ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [٣] الآية. وما زالت الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ يناظرون في دين الله سبحانه ويحتجّون على أعداء الله تعالى. وكان شيوخ أصحابهم في كلّ عصر يستعملون النّظر، ويعتمدون الحجاج ويجادلون بالحق، ويدمغون [٤] الباطل بالحجج والبراهين، وكان الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ يحمدونهم على ذلك ويمدحونهم ويثنون عليهم بفضل.

وقد ذكر الكلينيّ ـ رحمه الله ـ في كتاب الكافي ـ وهو من أجلّ كتب الشّيعة وأكثرها فائدة ـ حديث يونس بن يعقوب مع أبي عبد الله ـ عليه السّلام ـ حين ورد عليه الشّامي لمناظرته، فقال له أبو عبد الله ـ عليه السّلام ـ: «وددت أنّك يا يونس كنت تحسن الكلام».

فقال له يونس: جُعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأهل الكلام؛ يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله.

فقال له أبو عبد الله ـ عليه السّلام ـ: «إنّما قلت ويل لهم إذا تركوا قولي وصاروا إلى خلافه» ثمّ دعا حمران بن أعين ومحمّد بن الطيّار [٥]، وهشام بن سالم وقيس الماصر فتكلّموا بحضرته، وتكلّم هشام بعدهم فأثنى عليه ومدحه وقال له:

---

(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) آل عمران: ٩٤.

(٣) آل عمران: ٦٢.

(٤) في بعض النّسخ: يدفعون.

(٥) أُنظر ذيل كتاب (أوائل المقالات ـ ص ٦٩ـ٧٠ طبع ١٣٧١) بقلم العلاّمة الزنجاني.ج.

«مثلك من يكلّم النّاس»، وقال -عليه السّلام- وقد بلغه موت الطيّار : «رحم الله الطيّار ولقّاه نضرة وسروراً، فلقد كان شديد الخصومة عنّا أهل البيت»[(١)].

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر -عليه السّلام- لمحمّد بن حكيم: «كلّم النّاس وبيّن لهم الحقّ الّذي أنت عليه، وبيّن لهم الضّلالة الّتي هم عليها».

وقال أبو عبد الله -عليه السّلام- لبعض أصحابنا[(٢)]: «حاجّوا النّاس بكلامي، فإن حجّوكم فأنا المحجوج» وقال لهشام بن الحكم وقد سأله عن أسماء الله تعالى واشتقاقها فأجابه عن ذلك، ثمّ قال له بعد الجواب: «أفهمت يا هشام فهماً تدفع به أعداءنا الملحدين في دين الله وتبطل شبهاتهم»؟ فقال هشام: نعم، فقال له: «وفّقك الله».

وقال -عليه السّلام- لطائفة من أصحابه: «بيّنوا للنّاس الهدى الّذي أنتم عليه، وبيّنوا لهم [ضلالهم الّذي هم عليه][(٣)] وباهلوهم في عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-» فأمر بالكلام ودعا إليه وحثّ عليه.

وروي عنه -عليه السّلام- أنّه نهى رجلاً عن الكلام وأمر آخر به ، فقال له بعض أصحابه: جُعلت فداك، نهيت فلاناً عن الكلام وأمرت هذا به؟ فقال: «هذا أبصر بالحجج، وأرفق منه» فثبت أنّ نهي الصّادقين -عليهم السّلام- عن الكلام إنّما كان لطائفة بعينها لا تحسنه ولا تهتدي إلى طرقه وكان الكلام يفسدها، والأمر لطائفة أُخرى به، لأنّها تحسنه وتعرف طرقه وسبله.

فأمّا النّهي عن الكلام في الله -عزّ وجلّ- فإنّما يختصّ بالنّهي عن الكلام في

---

(١) بحار الأنوار ٢: ١٣٦.

(٢) «ح» «ق»: أصحابه.

(٣) «ق»: الضّلالة الّتي هم عليها، «ز»: ضلالتهم الّتي هم عليها.

تشبيهه بخلقه وتجويره في حكمه.

وأمّا الكلام في توحيده ونفي التّشبيه عنه والتّنزيه له والتّقديس، فمأمور به ومرغَّب [١] فيه، وقد جاءت بذلك آثار كثيرة وأخبار متظافرة، وأثْبَتُّ في كتابي «الأركان في دعائم الدّين» منها جملة كافية، وفي كتابي «الكامل في علوم الدّين» منها باباً استوفيتُ القول في معانيه وفي «عقود الدّين» جملة منها؛ من اعتمدها أغنت عمّا سواها، والمتعاطي لإبطال النّظر شاهد على نفسه بضعف الرّأي، وموضّح عن قصوره عن المعرفة ونزوله عن مراتب المستبصرين، والنّظر غير المناظرة، وقد يصحّ النّهي عن المناظرة للتّقيّة [٢] وغير ذلك، ولا يصحّ النّهي عن النّظر، لأنّ في العدول عنه المصير إلى التّقليد والتّقليد مذموم باتّفاق العلماء ونصّ القرآن والسنّة.

قال الله تعالى ذاكراً لمقلّدة من الكفّار وذامّاً لهم على تقليدهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [٣].

وقال الصّادق ـ عليه السّلام ـ : «من أخذ دينه من أفواه الرّجال أزالته الرّجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنّة زالت الجبال ولم يزل» [٤].

وقال ـ عليه السّلام ـ : «إيّاكم والتّقليد، فإنّه من قلّد في دينه هلك» إنّ الله تعالى يقول: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [٥] فلا [٦] والله ما صلّوا لهم

(١) «ز»: ومرغوب.

(٢) في بعض النّسخ: لتقيّة.

(٣) الزّخرف: ٢٣ , ٢٤.

(٤) بحار الأنوار ٢: ١٠٥.

(٥) التّوبة: ٣١.

(٦) في بقيّة النّسخ: ولا.

ولا صاموا، ولكنّهم أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فقلّدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم [١] لا يشعرون».

وقال ـ عليه السّلام ـ : «من أجاب ناطقاً فقد عبده، فإن كان النّاطق عن الله تعالى فقد عبد الله، و إن كان النّاطق عن الشّيطان فقد عبد الشّيطان».

فصل:

ولو كان التّقليد صحيحاً والنّظر باطلاً لم يكن التّقليد لطائفة أولى من التّقليد لأُخرى، وكان كلّ ضالٍّ بالتّقليد معذوراً [٢]، وكلّ مقلّد لمبدع غير موزور [٣]، وهذا ما لا يقوله أحد، فعلم بما ذكرناه أنّ النّظر هو الحقّ والمناظرة بالحقّ صحيحة، وأنّ الأخبار الّتي رواها أبو جعفر ـ رحمه الله ـ وجوهها [٤] ما ذكرناه، وليس الأمر في معانيها على ما تخيّله فيها، والله وليّ التّوفيق.

---

(١) «ق»: من حيث.

(٢) «ق»: غير موزور.

(٣) «ز»: معذور.

(٤) «ق»: جوابها.

فصل: في اللّوح والقلم(*)

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ (1): اعتقادنا في اللّوح والقلم أنّهما ملكان(2).

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: اللّوح كتاب الله تعالى كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى يوضّحه (3): ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (4) فاللّوح هو الذّكر، والقلم هو الشيء الّذي أحدث الله به الكتابة (5) في اللّوح، وجعل اللّوح أصلاً ليعرف الملائكة ـ عليهم السّلام ـ منه ما يكون [من غيب أو وحي] (6)، فإذا أراد الله تعالى أن يُطلع الملائكة على غيب له أو يُرسلهم إلى الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ بذلك أمرهم بالاطّلاع في (7) اللّوح، فحفظوا منه ما يؤدّونه إلى من أُرسلوا إليه، وعرفوا منه ما يعملون (8)، وقد جاءت بذلك آثار عن النّبيّ ﷺ وعن الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ.

فأمّا من ذهب إلى أنّ اللّوح والقلم ملكان؛ فقد أبعد بذلك ونأى به عن الحقّ؛ إذ الملائكة لا تسمّى ألواحاً، ولا أقلاماً، ولا يعرف في اللّغة اسم ملك ولا (9) بشر لوح ولا (10) قلم.

(*) أُنظر البحار ـ ص ٩٠ ج ١٤ ط كمپاني و المسألة الثامنة والثلاثين من المسائل العكبرية. ج

(١) الاعتقادات ص ٤٤.

(٢) عنه في البحار ٥٧: ٣٧٠/ ١٠.

(٣) ليست في «ق» «ز» «ح» «أ».

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) «أ» «ز»: الكتاب.

(٦) ليست في بقيّة النّسخ.

(٧) «ز»: على.

(٨) «ق» «ز»: يعلمون.

(٩, ١٠) «ق»: أو.

فصل: في [معنى] العرش (*)

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ[1]: اعتقادنا في العرش أنّه حملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم ... [2]إلخ.

قال الشّيخ أبو عبد الله المفيد ـ رحمه الله ـ: العرش في اللّغة هو الملك[3]، قال الشّاعر بذلك:

إذا ما بنو مروان ثُلّت عروشُهم وأودتْ كما أودت أيادٍ وحميَرُ [4]

يريد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا، وقال آخر[5]:

أظننت عرشك لا يزولُ ولا يغيّر

يعني: أظننت ملكك لا يزول ولا يغيّر.

وقال الله تعالى مخبراً عن واصفي مُلك ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(*) أُنظر البحار ـ ض ٩٣ ج ١٤ ط كمپاني. ج

(١) عنه في البحار ٥٨: ٧/ ٥.

(٢) الاعتقادات ص ٤٥، و بحار الأنوار ٥٥: ٧.

(٣) بحار الأنوار ٥٥: ٧.

(٤) بحار الأنوار ٥٥: ٧.

(٥) «ق»: الآخر.

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [١] يـريـدون: لها ملك عظيم، فعـرش الله تعـالى هـو ملكـه، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على المُلك، والعرب تصف الاستيلاء بالاستواء، قال الشّاعر:

قد استــوى بـشـر على العـراقِ   من غير سـيـف ودم مهـراقِ [٢]

يريـد به قـد استولى على العـراق [٣]، فأمّـا العرش الّـذي تحمله الملائكـة؛

---

(١) النّمل: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٤: ٥.

(٣) قال العلاّمة الشّهرستانيّ في مجلّة (المرشد ص ٢٩ ـ ٣١ ج٣): ليس المذهب الصّحيح ما ذهب إليه الحشويّـة وبعض الظّاهريّة من أنّ العرش سريـر كبير يجلس الله عليه جلوس الملك اغتراراً منهم بما يفهمه العـوام من كلمة «العرش» أو مـن لفظة «استوى» إذ العلم والـدّين متّفقان على تنزيه الخالق ـ عزّ شأنه ـ من صفـات الأجسام، وتقديس العالم الرّوحاني من شوائب المواد. ولو اتّخذنا فهم العوام ميـزاناً لتفسير الكتاب والسنّة لشوّهنـا محاسن تلك الجمل البليغة، وذهبنا بها إلى معاني مبـذولة غير مقبـولة، ولـوجب علينا أن نفسّـر آية: **﴿يجعلون أصـابعهم في آذانهم﴾** (البقرة: ٢٠) بدخـول الأصابع كلّها في الآذان، وأن نفسّـر حـديث « الحجر الأسود يمين الله في أرضه» بأنّ الحجر هو إحـدى أكفّ الربّ ـ تعالى شأنه ـ نعم، لهذا الحديـث وأمثاله ولتلك الآية وأمثالها وجه معقول، ولكن على سبيل التّشبيه والمجاز، وعليهما مدار الكلام البليغ.

وبالجملة: إنّنا نفسّـر القرآن بالقرآن لئلاّ نحيد عن صراطه المستقيم، فنقول: إنّ العرب كانوا ولا يزالون يسمون البيت المصنوع سقفه وقوائمه من أُصول الأشجار عريشاً ويستعملون الصّيغ المشتقّة من هذا الاسم لمعانٍ قريبة منه، كما في آية **﴿ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾** (الأعراف: ١٣٧).

وفي آية: **﴿وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبـال بيوتـاً ومن الشجر وممّـا يعرشـون﴾** (النّحل: ٦٨) وآية: **﴿وهو الّـذي أنشأ جنّات معروشات وغير معـروشات﴾** (الأنعام: ١٤١) يعني بذلك السّقـوف وقوائمها المصنوعـة من أُصول الشجّر وفروعهـا للكرم أو لغيره، وآية: ⇐

فهو بعض الملك[1]، وهو عرش خلقه الله تعالى في السّماء السّابعة، وتعبّد الملائكة -عليهم السّلام- بحمله وتعظيمه، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحجّ إليه وتعظيمه، وقد جاء في الحديث أنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت

⇦ ﴿أو كالّذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة: ٢٦٠) يعني قصورها وبيوتها المسقّفة، وبهذه المناسبة ومن غلبة الاستعمال صار «العرش» علماً للدّائرة الخاصّة بملوك البشر على اختلاف أشكالها حسب اختلاف حضارة البشر في أدواره وفخامة الملك وسلطانه.

وقد استعمل الوحي الإلهي لفظة «العرش» على سبيل التّجوّز في دائرة ملك الله سبحانه الخاصّة به وبملائكته المقرّبين، فعرشه كناية عن عالم الرّوحانيّات، وما كان الحكماء الأقدمون يسمّونه بعالم الملكوت، وسمّاه حكماء الإسلام بعالم الأمر.

وأمّا لفظة «استوى» وهي الّتي جعلت الآية من المتشابهات عند القوم؛ فمعناها التّمكّن التّام والاستيلاء الكامل بدليل ما يظهر من آية: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ (المؤمنون: ٢٨) أي: تمكّنت، وآية: ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ (الفتح: ٢٩) أي: تمكّن واستقام، وآية: ﴿ولمّا بلغ أشدّه واستوى آتيناه حكماً﴾ (القصص: ١٤) فالاستواء فيهنّ بمعنى التّمكّن التّام دون الجلوس كما زعمت المشبّهة، وكثير في محاورات العرب استعمال «استوى» بمعنى التّمكّن التّام والاقتدار الكامل؛ كقول بعيث الشّاعر:

قد استوى بشر على العراقِ   من غير سيف ودم مهراقِ

يريد تمكّنه التّام، غير أنّنا نتوخّى على الدّوام تفسير القرآن بالقرآن والاهتداء منه إليه، وقد دلّنا على معنى «العرش» كما دلّنا على معنى «الاستواء» وأنّ الله سبحانه قد ظهر من خلقه للسموات والأرض تمكّنه التّام واقتداره الكامل على عالم الأرواح، أي: دائرة ملكه الخاصّة به والمهيمنة على عالم الأجسام، ويؤيّد ذلك: قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿له ما في السّموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثّرى﴾ (طه: ٦) مشيراً إلى أنّه استولى قبل كلّ شيء على عالم الملكوت والأرواح، ثمّ تمكّن بذلك من تملّك عالم النّاسوت والأجرام.

وإن شئتم التّفاصيل الكافية بأسرار العرش وآياته وحلّ سائر مشكلاته؛ فقد استوفينا كلّ ذلك في رسالتنا «العرشيّة».ج.

(١) بحار الأنوار ٥:٨.

العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السّماء الرّابعة بيتاً سمّاه الضّراح وتعبّد الملائكة بحجّه والتّعظيم له والطّواف حوله، وخلق البيت الحرام في الأرض وجعله [١] تحت الضّراح [٢].

وروي عن الصّادق -عليه السّلام- [٣] أنّه قال : لو أُلقي حجر من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور، ولو أُلقي حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام، ولم يخلق الله عرشاً لنفسه ليستوطنه، تعالى الله عن ذلك. لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه تكرمة له وإعظاماً وتعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه [٤] لنفسه ولا ليسكنه، تعالى الله عن ذلك كلّه. لكنّه خلقه لخلقه وأضافه لنفسه [٥] إكراماً له وإعظاماً، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه.

فأمّا [الوصف للعلم] [٦] بالعرش فهو في مجاز اللّغة دون حقيقتها، ولا وجه لتأويل [٧][٨] قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٩] بمعنى [١٠] أنّه احتوى على العلم، وإنّما الوجه في ذلك ما قدّمناه.

والأحاديث الّتي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد وروايات أفراد لا يجوز القطع بها ولا العمل عليها، والوجه الوقوف عندها والقطع على أنّ [العرش في الأصل] [١١] هو الملك، والعرش المحمول جزء من الملك تعبّد الله تعالى بحمله الملائكة على ما قدّمناه [١٢].

---

(١) «أ» «ز» «ح» : فجعله.

(٢) بحار الأنوار ٥٥ : ٨.

(٣) بحار الأنوار ٥٥ : ٨.

(٤) «ز»: يجعله.

(٥) «ح» «ز» «ق» : إلى نفسه.

(٦) «ق»: وصف العلم.

(٧) بحار الأنوار ٥٥ : ٨.

(٨) «ح» «ز» «ش» «ق»: لتأوّل.

(٩) طه:٥.

(١٠) «ق»: على.

(١١) في المطبوعة: الأصل في العرش.

(١٢) بحار الأنوار ٥٥ : ٨.

فصل: في النّفوس والأرواح

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ[1]: اعتقادنا في النّفوس أنّها هي الأرواح، وأنّها الخلق الأوّل، وأنّها خلقت للبقـاء، وأنّها في الأرض غـريبـة، وفي الأبـدان مسجونة.

قـال الشّيخ أبو عبـد الله: كلام أبي جعفـر في النّفس والرّوح على مـذهب الحدس دون التّحقيق، ولو اقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكـر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه[2] سلوكه.

[قـال الشّيخ أبـو عبـد الله: النّفس عبـارة][3] عن معانٍ: **أحدهـا**: ذات الشّـيء، **والثّاني**[4] الدّم السائل، **والثّالث**[5]: النَّفس الّـذي هو الهواء، **والرّابع**: الهوى وميل الطبع[6]*.

فأمّا شاهد المعنى الأوّل؛ فهو قولهم: هذا نفس الشّـيء ـ أي: ذاته وعينه ـ

---

(١) الاعتقادات ص ٤٧ و البحار ٦: ٢٤٩/ ٨٧ و ٦١ :٧٨ـ٧٩.

(٢) «ق»: عليه.

(٣) في المطبوعة: أمّا النّفس فعبارة.

(٤) «أ» «ح» «ز» «ق» «ش»: والآخر.

(٥) «أ» «ح» «ز» «ش» «ق»: والآخر.

(٦) «ح» «ق»: الطّباع.

* بحار الأنوار ٥٨ :٧٩.

وشاهد الثّاني قولهم: كلّ ما كانت [له نفس] (١) سائلة فحكمه كذا وكذا، وشاهد الثّالث قولهم: فلان هلكت نفسه، إذا انقطع نفسه ولم يبق في جسمه هواء يخرج من جوانبه(٢)، وشاهد الرّابع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (٣) يعني: الهوى داع إلى القبيح، وقد يُعبّر بالنّفس عن النّقم، قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ (٤) يريد به: نقمه وعقابه (٥).

فصل(٦):

[قال الشّيخ المفيد: وأمّا الرّوح] (٧) فعبارة عن معان: **أحدها**: الحياة، **والثّاني**: القرآن، **والثّالث**: ملك من ملائكة الله تعالى، **والرّابع**: جبرئيل -عليه السّلام- .

فشاهد الأوّل قولهم: كلّ ذي روح فحكمه كذا وكذا، يريدون: كلّ ذي حياة، وقولهم في من مات: قد خرجت منه الرّوح، يعنون به الحياة، وقولهم في الجنين: صورة لم تلجه الرّوح، يريدون: لم تلجه (٨) الحياة.

وشاهد الثّاني قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ روحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (٩) يعني به: القرآن.

وشاهد الثّالث قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ﴾ (١٠) الآية.

وشاهد الرّابع قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ﴾ (١١) يعني: جبرئيل -عليه السّلام- .

فأمّا ما ذكره الشّيخ أبو جعفر ورواه: أنّ الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي

---

(١) «أ» «ز»: النّفس.
(٢) «أ» «ح» «ز» «ق» «ش»: حواسّه.
(٣) يوسف: ٥٣.
(٤) آل عمران: ٢٩.
(٥) «ز»: وعذابه.
(٦) ليست في المطبوعة.
(٧) في المطبوعة: وأمّا الرّوح.
(٨) «ق»: تحلّه.
(٩) الشّورى: ٥٢.
(١٠) النّبأ: ٣٨.
(١١) النّحل: ١٠٢.

عام؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فهو حديث من أحاديث الآحاد وخبر من طرق الأفراد، وله وجه غير ما ظنّه من لا علم له بحقائق الأشياء، وهو أنّ الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام، فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر[1]، وليس الأمر كما ظنّه أصحاب التّناسخ ودخلت الشّبهة فيه على حشويّة

---

(١) قال المصنّف ـ قدّس الله نفسه ـ في ضمن جواب المسألة الثّانية من المسائل السّرويّة * : فأمّا الخبر بأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامّة كما روته الخاصّة وليس «هو» مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحّته، وإنّما نقله رواته لحسن الظّنّ به، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أن الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم ـ كما قدّمناه ـ وليس بخلق لذواتها كما وصفناه ـ والخلق لها بالإحداث والاختراع بعد خلق الأجسام والصّور الّتي تدبّرها الأرواح، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج إلى آلات تعتملها ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد. وهذا محال لا خفاء بفساده.

وأمّا الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؛ فالمعنى فيه أنّ الأرواح الّتي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرّأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرّأي والهوى اختلف. وهذا موجود حسّاً ومشاهد، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذّرّ ائتلف ـ كما يذهب إليه الحشويّة، كما بيّنّاه من أنّه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم، ولو ذكّر بكلّ شيء ما ذكر ذلك ـ فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه، والله الموفّق للصّواب . انتهى.

انظر المجلّد الرّابع عشر من البحار « السّماء والعالم ـ ص ٤٢٨ ط أمين الضّرب ». ج .

---

* أُنظر إلى مقدمة العلاّمة الزنجاني لكتاب (أوائل المقالات ـ ص مه طبع ١٣٧١). و أُنظر البحار ـ ص ٧٤ ج ٣ ط كمباني. ج

الشّيعـة فتوهّـموا أنّ الذّوات [١] الفعّالة المأمورة والمنهيّة كانـت مخلوقة في الذّرّ [٢]

---

(١) «ق»: الذات.

(٢) قال المصنّف ـ قدّس سرّه ـ في ضمن جواب المسألة الثّانية من المسائل السّرويّـة، ما نصّه: وأمّا الحديث في إخراج الذّرّيّة من صلب آدم ـ عليه السّلام ـ على صورة الذّر؛ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعـانيه *، والصّحيح أنّه أخرج الذّرّيّة من ظهـره كالذّر فملأ بهم الأُفق، وجعل على بعضهم نوراً لا يشـوبه ظلمة وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نـور، وعلى بعضهم نوراً وظلمة، فلمّـا رآهم آدم عجب من كثرتهم وما عليهم من النّور والظّلمة فقال: يا ربّ ما هؤلاء؟ فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: هؤلاء ذرّيّتك، يريد تعريفه كثرتهم وامتـلاء الآفاق بهم، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذّرّ الّذي رآه ليعرّفه قدرته ويبشره باتّصال نسله وكثرتهم. فقال آدم ـ عليه السّلام ـ: يا ربّ مـا لي أرى على بعضهم نـوراً لا يشـوبه ظلمـة، وعلى بعضهم ظلمـة لا يشـوبها نـور، وعلى بعضهم ظلمة ونوراً؟

فقال تبارك وتعالى: أمّا الّذين عليهم النّور بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الّذين يطيعوني ولا يعصوني في شيءٍ من أمري، فأُولئك سكّان الجنّة.

وأمّا الّذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور فهـم الكفّار من ولدك الّذين يعصوني ولا يطيعوني في شيء من أمري، فهؤلاء حطب جهنم.

وأمّا الّـذين عليهم نور وظلمة فأُولئـك الّذين يطيعوني من ولدك ويعصـوني يخلطون أعمالهم السّيّئـة بأعمال حسنة، فهـؤلاء أمـرهم إليّ إن شئت عذّبتهـم فبعدلي، وإن شئت عفـوت عنهم بتفضّلي، فأنبأه الله بما يكون من ولده وشبّههم بـالذّرّ الّذي أخرجه من ظهره وجعلـه علامة على كثرة ولده، ويحتمل أن يكون ما أخرجـه من ظهره أُصول اجسام ذرّيته دون أرواحهم، وإنّما فعل الله ذلك ليدلّ آدم ـ عليه السّلام ـ على العاقبة منـه، ويظهر له من قدرته وسلطـانه ومن عجائب صنعه وعلمه بالكائن قبل كونه ليـزداد آدم ـ عليه السّلام ـ يقيناً بربّه ويـدعوه ذلك إلى التّوفير على طاعته والتّمسّك بأوامره والاجتناب لزواجره.

وأمّا الأخبار الّتي جـاءت بأن ذرّيّة آدم ـ عليه السّلام ـ استنطقوا في الذّر فنطقـوا فأُخذ ⇦

---

* أُنظر المقـام الخامس من (مقامات النجاة) للسيـد نعمة الله الجزائري ـ ره ـ. وراجع البحـار ـ ص ٧٣ ج ٣ ط كمباني. ج

تتعارف وتعقل وتفهم وتنطق، ثمّ خلق الله لها أجساداً من بعد ذلك

⇐ عليهم العهد فأقرّوا، فهي من أخبار التّناسخيّة، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل، والمعتمد من إخراج الذّرّية ما ذكرناه بما يستمرّ القول به على الأدلّة العقليّة والحجج السّمعية دون ما عداه، وإنّما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

فصل:

فإن تعلّق متعلّق بقوله تعالى: **﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾** (الأعراف: ١٧٣) وظنّ بظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التّناسخ والحشويّة والعامّة في انطاق الذّرّيّة وخطابهم بأنّهم كانوا أحياءاً ناطقين.

فالجواب عنه *: أنّ هذه الآية من المجاز في اللّغة كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة، والمعنى فيها أنّ الله تبارك وتعالى أخذ من كلّ مكلّف يخرج من صلب آدم وظهور ذرّيته العهد عليه بربوبيّته من حيث أكمل عقله ودلّه بآثار الصّنعة فيه على حدوثه، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه أحد يستحقّ العبادة منه بنعمته عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصّنعة فيهم هو إشهادهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربّهم، وقوله تعالى: **﴿قالوا بلى﴾** يريد أنّهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدوثهم الّلازمة لهم، وحجّة العقل عليهم في إثبات ⇐

* وأجاب المؤلّف ـ قده ـ عن الآية في المسألة الخامسة والأربعين من المسائل العكبرية بما أجاب عنها في المسألة الثانية من المسائل السروية لكن مع اختلاف في التعبير.

وقال العلاّمة الشهرستاني في مجلة (المرشد ـ ص ١٢٠ ج ٣ ط بغداد): «في الناس أُناس يعتقدون أنّ البشر من قبل أن يخلقوا خلقتهم هذه، كانوا على كثرتهم ذوي حظ من الوجود ولكن على قدر الذر أو أصغر ويسمّون الوطن الذي كانوا فيه على هذه الصفة (عالم الذر) و(عالم الميثاق) و(يوم الألست) بمناسبة خطاب الله لهم (وهم ذر) بقوله: **﴿ألست بربّكم قالوا بلى﴾** غير أنّ المحقق رشيد الدين محمد بن شهر آشوب المتوفّى سنة ٥٨٨ نسب هذا المذهب إلى الحشوية في كتابه (المحكم والمتشابه) ** وفسّر هذه الآية التي هي من أقوى أدلّة الذريين بحال أُمّتنا تجاه الخطابات الشرعية في عالمنا المحسوس. وعلى هذا أكثر المحققين من علمائنا المتقدمين كالشيخ المفيد والطبرسي ـ رض ـ وكالنراقيين من المتأخرين...». ج

** أُنظر متشابهات القرآن ومختلفه ص ٨ ج ١ ط طهران لابن شهر آشوب. ج.

فركّبها فيــها، ولــو كـان ذلك كــذلك لكنّا نـعرف نحن ما كنّـا عـليه، وإذا

⇦صـانعهم، فكأنّه سبحـانـه لمّا ألزمهـم الحجّة بعقـولهم على حـدثهم ووجود محدثهم قـال لهم: ﴿ألست بربّكم﴾ فلمّـا لم يقدروا على الامتناع عن لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين بلى.

وقوله تعالى: ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّـا عن هذا غافلين أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ (الأعراف: ١٧٣) ألا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يناولوا [يتأوّلوا] في إنكاره ولا يستطيعون.

وقد قال سبحانه: ﴿والشّمس والقمر والنّجـوم والجبال والشّجر والـدّوابّ وكثير من النّاس وكثير حقّ عليه العذاب﴾ (الحجّ: ١٨) * ولم يرد أنّ المذكـور يسجد (كـذا) كسجود البشر في الصّلاة، وإنّما أراد أنّه غير ممتنع من فعل الله، فهو كالمطيع لله، وهو يعبّر عنه بالسّاجد.

قال الشّاعر:

بجمــع تظّل البلـق في حجراته ترى الأُكم فيه سجّـداً للحـوافرِ ** ⇦

---

* أوّل الآية: ﴿ألم تر أنّ الله يسجـد له من في السمـوات و من في الأرض﴾. قال المصنف ــ قده ـ في جـواب المسألة الـرابعة من المسـائل العكبرية: السجـود في اللغة التـذلّل والخضوع ومنـه سمّى المطيع لله ساجداً لتذلّله بالطاعة لمن أطاعه، وسمّى واضع جبهته على الأرض ساجداً لمن وضعها له لأنّه تـذلّل بذلك له وخضع، والجمادات وإن فارقت الحيـوانات بالجمادية فهي متـذلّلة لله عزّ وجلّ من حيث لم تمتنع من تـدبيره لها وأفعاله فيهـا، والعرب تصف الجمادات بالسجـود وتقصد بذلك ما شرحناه في معناه، ألاترى إلى قول الشاعر وهو زيد الخيل:

بجمــع تظل البلق في حجراته ترى الاكــم فيه سجداً للحـوافر

أراد أن الاكم الصـلاب في الأرض لاتمتنـع من هـدم حـوافـر الخيل لها وانخفـاضهــا بعـد الارتفـاع...والتذلّل بـالاختيار والاضطـرار لله عزّ اسمـه يعم الجماد والحيوان النـاطق والمستبهم معاً.ج

** و في الكامل للمبرد ــ ص ١٥٦ ج ٢ ط مصر ١٣٣٩ هـ: و يروى عـن حماد الراوية قـال: قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: هل رأيت قول أبيك:

بني عـامـر هل تعرفـون إذا غـدا أبو مكنف قـد شدَ عقد الـدوابر
بجيش تضل البلق في حجــراتـه تـرى الاكم منه سجّـداً للحوافـر

مكنف كمحسن كنية زيد الخيل الصحابي ـ رض ـ قـال العلاّمة ابن قتيبة الدينوري (المتوفّى سنة ٢٧٦هـ) في كتاب (المعارف ـ ص ١٤٥ ط مصر ١٣٥٣هـ): كان مكنف أكبر ولد أبيه و به كان يكنّى وصحب النبي ﷺ فانّه أتى النبي ﷺ و سمّاه زيد الخير وحماد الراوية مولى مكنف. ج

ذُكّرنا به ذكرناه ولا يخفى علينا الحال فيه، ألا ترى أنّ من نشأ ببلد من البلاد

⇐ يريد: أنّ الحوافر تذلّ الأكم بوطئها عليها، وقال آخر:

سجوداً له عانون يرجون فضله ... وترك ورهط الأعجمين وكابل

يريد: أنّهم يطيعون له، وخبّر عن طاعتهم بالسّجود، وقوله تعالى: ﴿ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (فصّلت:١١) وهو سبحانه لم يخاطب السّماء بكلام، ولا السّماء قالت قولاً مسموعاً، وإنّما أراد أنّه عهد إلى السّماء فخلقها فلم يتعذّر عليه صنعها، وكأنّه لمّا خلقها قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً فلمّا انفعلت بقدرته كانتا كالقائل: أتينا طائعين، ومثله قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنّم هل امتلئت و تقول هل من مزيد﴾ (ق:٣٠) والله تعالى يجلّ عن مخاطبة النّار وهي ممّا لا تعقل ولا تتكلّم، وإنّما [هو] الخبر عن سعتها وأنها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقبين، وذلك كلّه على مذهب أهل اللّغة وعادتهم في المجاز، ألا ترى إلى قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة ... وحدّرتا كالدّرّ لمّا يثقّب

والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً، ولكنّه أراد منهما البكاء فكانتا كما أراد من غير تعذّر عليه، ومثله قول غيره [عنترة]:

ازور عن وقع القنا بلبانه * ... وشكى إليّ بعبرة وتحمحم

والفرس لا يشتكي قولاً ولكنّه ظهر منه علامة الخوف أو الجزع.

ومنه قول الآخر:

«شكى إليّ جملي طول السّرى» **.

والجمل لا يتكلّم لكنّه لمّا ظهر منه النّصب، والوصب لطول السّرى عبّر عن هذه العلامة بالشّكوى الّتي تكون كالنّطق والكلام، ومنه قوله:

امتلأ الحوض وقال قطني ... حسبك منّي قد ملأت بطني

والحوض لم يقل قطني ولكنّه لمّا امتلأ بالماء عبّر عنه بأنّه قال حسبي، ولذلك أمثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومه وهو من الشّواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية، والله تعالى ⇐

---

* اللبان: الصدر أو ما بين الثديين، وأكثر استعماله لصدر ذات الحوافر كالفرس. ج.

** آخر الشعر: يا جملي ليس إليّ المشتكى ... صبر جميل فكلانا مبتلى. ج.

فأقام[١] فيه حولاً ثمّ انتقل[٢] إلى غيره لم يذهب عنه علم ذلك[٣] وإن خفي عليه لسهوه عنه فذُكّر به ذَكَره، ولولا أنّ الأمر كذلك لجاز أن يولد إنسان منّا ببغداد وينشأ بها ويقيم عشرين سنة فيها ثمّ ينتقل إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً، وإن ذكّر به وعدد عليه علامات حاله ومكانه ونشوئه أنكرها، وهذا ما لا يذهب إليه عاقل[٤]، وكذا ما كان ينبغي لمن لا معرفة له بحقائق الأُمور

سأل التّوفيق، اهـ.

أُنظر (المسألة ٤٥ من المسائل العكبرية للشيخ المفيد ـ ره ـ وأمالي تلميذه الشريف السيد المرتضى ـ ره ـ المسمّى بغرر الفوائد ودرر القلائد ـ ص ٢٠ ـ ٣٤ ج١ ط مصر) و (مجمع البيان ـ ص ٤٩٧ ج٢ ط صيدا) لامام المفسرين الشيخ الطبرسي ـ ره ـ ورسالة (فلسفة الميثاق والولاية ـ ص ٣ ـ ١٠ ط صيدا) للعلامة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي مدّ ظله. ج.

(١) «ق»: وأقام.

(٢) «ق» زيادة: عنه.

(٣) بحار الأنوار ٥٨: ٨٠ـ٨١.

(٤) قال ـ قدّس سرّه ـ في ضمن جواب المسألة الأُولى من المسائل العكبريّة *: إن قيل إنّ أشباح آل محمّد ﷺ سبق وجودها وجود آدم فالمراد بذلك أنّ أمثلتهم في الصّور كانت في العرش فرآها آدم وسأل عنها فأخبره الله أنّها أمثال صور من ذرّيته شرّفهم بذلك وعظّمهم به، فأمّا أن تكون ذواتهم ـ عليهم السّلام ـ كانت قبل آدم موجودة فذلك باطل بعيد عن الحقّ لا يعتقده محصّل ولا يدين به عالم وإنّما قال به طوائف من الغلاة الجهّال والحشويّة من الشيّعة الّذين لا بصيرة لهم بمعاني الأشياء ولا حقيقة الكلام.

وقد قيل: إنّ الله تعالى كان قد كتب أسمائهم في العرش ورآها آدم وعرفهم بذلك وعلم أنّ شأنهم عند الله عظيم.

وأمّا القول بأنّ ذواتهم كانت موجودة قبل آدم فالقول في بطلانه على ما قدمناه. اهـ.

---

* أُنظر مقدمة (أوائل المقالات ص مه طبع ١٣٧١) ج.

أن يتكلّم فيها على خبط عشواء[1]. والّذي [2] صرّح به أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في معنى الرّوح والنّفس هو قول التّناسخيّة بعينه من غير أن يعلم أنّه قولهم فالجناية بذلك على نفسه وعلى غيره عظيمة.

فأمّا ما ذكره من أنّ الأنفس [3] باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضادّ ألفاظ القرآن.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [4] والّذي حكاه من ذلك وتوهّمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين الّذين زعموا أنّ الأنفس [5] لا يلحقها الكون والفساد، وأنّها باقية، وإنّما تفنى وتفسد الأجسام المركّبة، وإلى هذا ذهب بعض أصحاب التّناسخ

⇐ وقال (س) في ضمن جواب المسألة المتممة للخمسين: فصل ـ وقوله انّ النبيّ ﷺ ولد مبعوثاً ولم يزل نبيّاً فانّه مجمل من المقال وباطل فيه على حال فان أراد بذلك أنّه لم يزل في الحكم مبعوثاً وفي العلم نبيّاً فهو كذلك، وإن أراد (بذلك) أنّه لم يزل موجوداً في الأزل ناطقاً رسولاً وكان في حال ولادته نبيّاً مرسلاً كما كان بعد الأربعين من عمره فذلك باطل لا يذهب إليه إلّا ناقص غبي لا يفهم عن نفسه ما يقول والله المستعان وبه التوفيق. ج.

(١) قال في (الحور العين ـ ص ٣١٣): والعشواء في قول الخليل: النّاقة الّتي لا تبصر ما أمامها، فهي تخبط بيديها كلّ شيء وترفع طرفها لا تنظر موقع يديها، فضُرب بها المثل لمن لا يتبيّن في أمره، فقيل: كراكب العشواء، وركب العشواء وهو يخبط خبط العشواء.

(انظر مجمع الأمثال ص ٣٣٦ ج ٢ ط مصر) أيضاً. ج.

(٢) من هنا ذكره المجلسيّ في البحار ٥٨: ٨١.

(٣) «ق» «ز»: النّفس.

(٤) الرّحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) في المطبوعة: النّفس.

وزعموا أنّ الأنفس [١] لم تزل تتكرّر في الصّور [٢] والهياكل لم تحدث ولم تفن ولن [٣] تعدم، وأنّها باقية غير فانية، وهـذا من أخبث قول وأبعده من الصّواب، وبما دونه في الشّناعة والفساد شنّع به النّاصبة على الشّيعـة ونسبوهم إلى الزّندقة، ولو عرف مُثْبِتُه ما [٤] فيه لما تعـرّض له، لكنّ أصحابنـا المتعلّقين بالأخبار أصحاب سـلامة وبعد ذهن وقلّة فطنة يمرّون على وجـوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها، ولا يفـرّقون [٥] بين حقّها وبـاطلها، ولا يفهمـون ما يـدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصّلون معاني ما يطلقونه منها.

والّذي ثبت من الحديث في هذا البـاب أنّ الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين: منها ما ينقل إلى الثّـواب والعقاب، ومنها ما يبطل فـلا يشعر بثواب ولا عقاب.

وقـد روي عـن الصّـادق ـ عليه السّلام ـ مـا ذكـرنـاه [٦] في هـذا المعنـى وبيّنـّاه [٧]، فسئل عمن مات في هذه الدّار أين تكون روحه؟ فقال ـ عليه السّلام ـ : من

---

(١) «ز»: النّفس.

(٢) في المطبوعة: الصّورة.

(٣) «ح» «ز» «ق»: ولم.

(٤) في المطبوعة: بما.

(٥) «ح» «ق»: يميّزون.

(٦) «ق»: ذكرنا.

(٧) وممّا هو جـدير بالذكر أنّه لا منـافاة بين هذا الخبر وبين سائر الأخبار الواردة في الـرّجعة المشعرة بأنّه لا يرجع إلى الدّنيا إلاّ من محض الإيمان محضـاً أو محض الكفر محضاً، فإنّ هذا الخبر في مقام بيـان أنّه لا ينعم ولا يعـذّب من النّفـوس بعـد مفارقـة الأجسـاد إلاّ نفوس مـاحضي الإيمان أو مـاحضي الكفر، وأنّ سـائر النّفوس من أمثـال المستضعفين وغيرهم لا يشعر بشيء من الثّـواب والعقاب حتّى يوم النّشور وبعث من في القبور.

وأخبـار الرّجعـة في مقام بيـان أنّ الرّاجعين إلى الـدّنيا ليسـوا إلاّ من هاتين الطّـائفتين أعني ممحّضي الإيمان وممحّضي الكفر، وليس في مقام إثبات أنّ كلّ مـاحض للإيمان أو ماحض للكفر يعود، فلا منافـاة بين مضامين الأخبار، وللمصنّف ـ قدّس سرّه ـ بيان شـاف في هذا الباب أيضاً في «أوائل المقالات». ز.

مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصّورة[١]، وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه[٢] وردّ روحه إلى جسده وحشره ليوفّيه أعماله، فالمؤمن تنتقل[٣] روحه من جسده إلى مثل جسده في الصّورة، فيُجعل في جنّةٍ من جنان الله يتنعّم فيها إلى يوم المآب، والكافر تنتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه فتُجعل في نارٍ فيعذّب بها إلى يوم القيامة، وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾[٤] وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٥] فأخبر سبحانه أنّ مؤمناً قال بعد موته وقد أُدخل الجنّة: يا ليت قومي يعلمون، وأخبر أنّ كافراً يعذّب بعد موته غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعة يخلد في النّار.

والضّرب الآخر: من يُلهى عنه وتعدم نفسه عند فساد جسمه، فلا يشعر بشيء حتّى يُبعث، وهو من لم يمحض الإيمان محضاً، ولا الكفر محضاً.

وقد بيّن الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً﴾[٦] فبيّن أنّ قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتّى يظنّ

---

(١) أُنظر (بقاء النفس بعد فناء الجسد ـ ص ٤٨ ـ ٤٩ ط مصر) للفيلسوف الأكبر وأُستاذ البشر نصير الدين الطوسي ـ ره ـ وشرحها للمرحوم العلاّمة أبي عبد الله الزنجاني طاب ثراه. ج.

(٢) بحار الأنوار ٥٨:٨١.

(٣) «ز»: تنقل.

(٤) يس: ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) المؤمن: ٤٦.

(٦) طه: ١٠٤.

بعضهم أنّ ذلك كان عشراً[١]، ويظنّ بعضهم أنّ ذلك كان يوماً، وليس يجوز أن يكون ذلك عن وصف من عذّب إلى بعثه أو نعم إلى بعثه، لأنّ من لم يزل منعّماً أو معذّباً لا يُجهل عليه حاله فيما عومل به، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته.

وقد روي عن أبي عبد الله ـ عليه السّلام ـ أنّه قال: إنّما يُسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأمّا ما سوى هذين فإنّه يُلهى عنه.

وقال في الرّجعة: إنّما يرجع إلى الدّنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً[٢]، فأمّا ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب[٣].

---

(١) في سورة طه: ١٠٣ ﴿... إن لبثتم إلاّ عشرا﴾ الآية. ج.

(٢) بحار الأنوار ٥٨:٨٢.

(٣) قال المصنّف ـ قدّس سرّه ـ في ضمن جواب المسألة الأُولى من المسائل السّرويّة:

فصل:

والرّجعة عندنا تختصّ بمن يمحض الإيمان ويمحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين، وإذا أراد الله تعالى على ما ذكرناه أوهم الشّيطان أعداء الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّهم إنّما ردّوا إلى الدّنيا لطغيانهم على الله تعالى فيزدادون عتوّاً، فينتقم الله تعالى منهم لأوليائه المؤمنين، ويجعل لهم الكرّة عليهم، فلا يبقى منهم أحد إلاّ وهو مغموم بالعذاب والنّقمة، وتصفو الأرض عن الطّغاة، ويكون الدّين لله تعالى، والرّجعة إنّما هي لمحضي الإيمان من أهل الملّة وممحضي النّفاق منهم دون من سلف من الأُمم الخالية.

فصل:

وقد قال بعض المخالفين لنا: كيف تعود كفّار الملّة بعد الموت إلى طغيانهم وقد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ وتيقّنوا بذلك أنّهم مبطلون، فقلت له: ليس ذلك بأعجب من الكفّار الّذين يشاهدون في البرزخ ما حلّ بهم من العذاب فيها ويعلمون ضرورة بعد الموافقة لهم والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدّنيا؛ فيقولون حينئذ: ﴿يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين﴾ (الأنعام: ٢٧) فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون﴾ (الأنعام: ٢٨) فلم يبق للمخالف بعد هذا الاحتجاج شبهة يتعلّق بها فيما ذكرناه؛ والمنّة لله. ج.

وقد اختلف أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ فيمن ينعّم ويعذّب بعد موته [١]؛ فقال بعضهم: المعذّب والمنعّم هو الرّوح الّتي توجّه إليها الأمر والنّهي والتّكليف، وسمّوها «جوهراً».

وقال آخرون: بل الرّوح الحياة، جعلت في جسدٍ كجسده في دار الدّنيا، وكلا الأمرين يجوزان في العقل [٢]، والأظهر عندي قول من قال إنّها الجوهر المخاطب، وهو الّذي يسمّيه [٣] الفلاسفة «البسيط».

وقد جاء في الحديث [٤] أنّ الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ خاصّة والأئمّة ـ عليهم السّلام ـ من بعدهم يُنقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السّماء؛ فيتنعّمون في أجسادهم الّتي كانوا فيها عند مقامهم في الدّنيا. وهذا خاصّ بحجج الله تعالى دون من سواهم من النّاس.

وقد روي عن النّبيّ ﷺ [٥] أنّه قال: من صلّى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلّى عليّ من بعيد بلّغته، وقال ﷺ: من صلّى عليّ مرّة صلّيت عليه عشراً، ومن صلّى عليّ عشراً صلّيت عليه مائة، فليكثر امرؤ منكم الصّلاة عليّ أو فليقلّ [٦]. فبيّن أنّه ﷺ بعد خروجه من الدّنيا يسمع الصّلاة عليه، ولا يكون كذلك إلاّ وهو حيّ عند الله تعالى، وكذلك أئمّة الهدى ـ عليهم السّلام ـ يسمعون سلام المسلّم عليهم من قرب، ويبلغهم سلامه من بعد، وبذلك جاءت الآثار الصّادقة

---

(١) «ق»: الموت.

(٢) «ح» «ق»: العقول.

(٣) «ح»: تُسمّيه.

(٤) بحار الأنوار ٥٨: ٨٢ و ٨٣.

(٥) بحار الأنوار ٥٨: ٨٣.

(٦) بحار الأنوار ٥٨: ٨٣.

عنهم-عليهم السّلام- [١].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [٢] الآية.

وروي عن النّبيّ ﷺ [٣] أنّه وقف على قليب [٤] بدر [٥] فقال للمشركين الّذين قُتلوا يومئذٍ وقد أُلقوا في القليب: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله؛ أخرجتموه من منزله [٦] وطردتموه، ثمّ اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله، ما خطابك لهامٍ [٧] قد صديت [٨]؟ فقال له: مه يا ابن الخطّاب ! فوالله ما أنت بأسمع منهم؛ وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع [٩] الحديد إلاّ أن أُعرض بوجهي هكذا عنهم [١٠].

---

(١) بحار الأنوار ٥٨: ٨٣. (٢) آل عمران: ١٧٠.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٥٤. (٤) القليب: البئر.

(٥) بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً، قال حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ (المتوفّى سنة ٥٠ هـ).

يناديهم رسول الله لما	قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا حديثي كان حقاً؟	وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا	صدقت وكنت ذا رأي مصيب

أُنظر (شرح ديوان حسان ــ ص ١٧ ط مصر) للأُستاذ عبد الرحمان البرقوقي. وإلى (أعيان الشيعة ـ ص ١٦٧ ج٢ ط١ دمشق) للعلامة الامام الأمين العاملي. ج.

(٦) «ق»: بلده، «ح»: مولده.

(٧) جمع الهامة: تطلق على الجثة.

(٨) أي ماتت.

(٩) جمع المقمعة: خشبة أو حديدة يضرب بها الانسان ليذل.

(١٠) بحار الأنوار ٦: ٢٥٥. أُنظر (البداية والنهاية ــ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ج١ ط مصر) لابن كثير المؤرخ المفسر . ج.

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طـالب ـ عليه السّلام ـ [١] أنّه ركب بعد انفصال الأمر من حـرب البصرة فصار [٢] يتخلّل بين الصّفـوف حتّى مـرّ على كعب بن سورة ـ وكان هذا قاضي البصرة ولاّه إيّاهـا عمر بن الخطّاب، فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمـر وعثمان، فلمّا وقعت الفتنة بالبصرة علّق في عنقه مصحفـاً وخرج بأهله وولـده يُقاتل أمير المؤمنين؛ فقُتلوا بأجمعهم ـ فـوقف عليه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وهو صريع بين القتلى، فقال: أجلسوا كعب بن سورة، فأجلس بين نفسين، وقـال له: يـا كعب بن سورة، قـد وجدتُ مـا وعدني ربّي حقّـاً، فهل وجدتَ مـا وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا كعباً. وسار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبد [٣] الله صريعاً، فقال: أجلسوا طلحة، فأجلسوه، فقـال: يا طلحة، قد وجدتُ ماوعدني ربيّ حقّاً، فهل وجدتَ مـا وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا طلحـة، فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين ، ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال: مه يا رجل، فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ [٤].

وهذا من الأخبار الدالّةعلى أنّ بعض من يمـوت تُردّ إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه، وليس ذلك بعامٍ في كلّ من يموت، بل هو على ما بيّنّاه [٥].

---

(١) بحار الأنوار ٦:٢٥٥.

(٢) «ز» «ق» «ش»: فسار.

(٣) «ح» «ش»: عُبيد.

(٤) أُنظر كتاب (الجمل ـ أو ـ النصرة في حرب البصرة ـ ص ١٩٤ ـ ٥ ط ١ نجف) للمؤلف قده. ج.

(٥) بحار الأنوار ٦:٢٥٥.

فصل: فيما وصف به الشّيخ أبو جعفر الموت

قال أبو جعفر [١]: باب الموت؛ قيل لأمير المؤمنين ... إلى آخره [٢].

قال الشّيخ أبو عبد الله [٣]: ترجم الباب بالموت وذكر غيره، وقد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت أو يترجم الباب بمآل الموت وعاقبة الأموات، فالموت؛ هو يضادّ الحياة، يبطل معه النموّ ويستحيل معه الاحساس، وهو محلّ [٤] الحياة فينفيها، وهو من فعل الله تعالى وليس لأحد فيه صنع ولا يقدر عليه أحد إلاّ الله تعالى.

قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [٥]، فأضاف الإحياء [إلى نفسه، وأضاف الإماتة إليها] [٦].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [٧] فالحياة ما كان بها النّمو والإحساس وتصحّ معها القدرة والعلم، والموت ما

(١) معاني الأخبار: ٢٨٨، وعنه في البحار ٦:١٦٧/ ٤٠.

(٢) الاعتقادات ص ٥١.

(٣) بحار الأنوار ٦: ١٦٧.

(٤) «ح» «ق»: يحلّ محلّ.

(٥) المؤمن: ٦٨.

(٦) في المطبوعة: والإماتة إلى نفسه.

(٧) الملك: ٢.

استحـال معـه النّمو والإحسـاس ولم تصحّ معـه القـدرة والعلم، وفعل الله تعـالى الموت بالأحيـاء لينقلهم [١] من دار العمل والامتحـان إلى دار الجزاء والمكـافأة، وليس يُميت الله عبـداً من عبيده [٢] إلاّ و إماتته أصلح لـه من بقائه، ولا يُحييه إلاّ وحياته أصلح له من موته، وكلّ ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التّدبير.

وقد يمتحن الله تعـالى كثيراً من خلقه بالآلام الشّـديدة قبل الموت، ويعفي آخرين من ذلك[٣]، وقد يكون الألم المتقدّم للموت [ضرباً من] [٤] العقوبة لمن حل به، ويكون استصلاحاً لـه ولغيره، ويعقبه نفعاً عظيماً، وعوضاً كثيراً [٥]، وليس كلّ من صعب عليه خروج نفسـه كان بذلك معاقبـاً، ولا كلّ من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرماً مثاباً.

وقد ورد الخبر بأنّ الآلام الّتي تتقدّم الموت تكون كفّارات لذنوب المؤمنين، وتكون عقاباً للكافرين، وتكون الرّاحة قبل الموت استدراجاً [٦] للكافرين، وضرباً من ثواب المؤمنين [٧]. وهـذا أمر مغيّـب عن الخلق، لم يُظهر الله تعـالى أحـداً من خلقـه على إرادته فيـه تنبيهـاً له، حتّى يتميّـز [٨] لـه حال الامتحـان من [٩] حال

---

(١) في بقيّة النّسخ: لنقلهم.

(٢) «ق»: عباده.

(٣) بحار الأنوار ٦:١٦٨.

(٤) «ز»: من باب.

(٥) «ح»: كبيراً.

(٦) استدرجه: خـدعه، واستدراج الله للعبد انّه كلّما جـدّد خطيئته جدّد له نعمـة و أنساه الاستغفار فيأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته، اُنظر (مجمع البحرين ـ درج). ج.

(٧) بحار الأنوار ٦:١٦٨.

(٨) «أ» «ز» «ش»: يميّز.

(٩) «ق»: عن.

العقاب، وحال الثّواب من حال الاستدراج، وتغليظاً للمحنة ليتمّ التّدبير الحكيم[١] في الخلق.

فأمّا ما ذكره أبو جعفر من أحوال الموتى بعد وفاتهم، فقد جاءت الآثار به على التّفصيل.

وقد أورد بعض ما جاء في ذلك إلاّ أنّه ليس ممّا ترجم به الباب في شيء، والموت على كل حال أحد بشارات المؤمن؛ إذ كان أوّل طرقه إلى محلّ النّعيم، وبه يصل ثواب الأعمال الجميلة في الدّنيا[٢]، وهو أوّل شدّة تلحق الكافر[٣] من شدائد العذاب[٤]، وأوّل طرقه إلى حلول العقاب[٥]، إذ كان الله تعالى جعل الجزاء على الأعمال بعده وصيّره سبباً لنقله من دار التّكليف إلى دار الجزاء، وحال المؤمن بعد موته أحسن من حاله قبله، وحال الكافر بعد مماته[٦] أسوء من حاله قبله، إذ المؤمن صائر إلى جزائه بعد مماته، والكافر صائر إلى جزائه بعد مماته[٧].

وقد جاء في الحديث عن آل محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أنّهم قالوا: الدّنيا سجن المؤمن، والقبر بيته، والجنّة مأواه، والدّنيا جنّة الكافر،

---

(١) «أ» «ح» «ز» «ش»: الحكميّ.

(٢) بحار الأنوار ٦:١٦٨.

(٣) «ش» «ز» «ق»: الكافرين.

(٤) في بقيّة النّسخ: العقاب.

(٥) «ز»: العذاب.

(٦) في بقيّة النّسخ: موته.

(٧) بحار الأنوار ٦:١٦٩.

والقبر سجنه، والنّار مأواه [١][٢].

وروي عنهم -عليهم السّلام- أنهّم قالوا: الخير كلّه بعـد الموت، والشّـرّ كلّه بعد الموت. ولا حـاجة بنـا مع نصّ القـرآن بالعـواقب إلى الأخبـار، [ومع شاهـد] [٣] العقول إلى الأحاديث.

وقد ذكر الله تعالى جزاء الصّالحين فبيّنه، وذكر عقاب الفاسقين ففصّله، وفي بيان الله سبحانه وتفصيله غنىً عمّـا سواه.

---

(١) قال العلاّمة المحقّق، كعبة الأدباء، الشّيخ بهاء الـدّين محمّد العامليّ (المتوفّـى سنة ١٠٣٠ هـ) في «الكشكول ص ٢٩٥ ط ٢ نجم الـدّولة» : رأى يهوديّ الحسن بن عليّ -عليه السّلام- في أبهى زيّ وأحسنه، واليهوديّ في حـال رديء وأسمال رثّة، فقال: أليس قال رسـولكم: الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكـافر؟ قال: نعم، فقال: هـذا حالي وهذا حـالك؟! فقال -عليه السّلام- : غلطت يـا أخا اليهود؛ لو رأيت ما وعدني الله من الثّـواب وما أعدّ لك من العقاب لعلمت أنّك في الجنّة وأنّي في السّجن!

وقـال العلاّمـة المدقّق الحاج الملاّ محمّد مهـدي النّـراقيّ (المتوفّى سنـة ١٣٠٩ هـ) في كتـاب «مشكلات العلوم ص ٣١٨ ط إيران ١٣٠٥ هـ» عند كلامه على توجيه الحديث: إنّ المؤمن وإن كان في الدّنيا في نعيم وحسن حال، فإنّه بـالنّسبة إلى حاله في الجنّة في سجن وضيق وسوء حال، والكافـر وإن كان في الدّنيا في ضيق وسـوء حال، فإنّه بـالنّسبة إلى حاله في النّـار في جنّة ونعيم، فيكون الحكمان للدّنيا بالنّسبة إلى الآخرة. ومثل هذا التّوجيه مرويّ عن الحسن -عليه السّلام- .ج .

(٢) بحار الأنوار ٦:١٦٩/ ٤١, ٤٢.

(٣) في بعض النّسخ: وبشاهد.

فصل: في المساءلة في القبر (*)

قال أبو جعفر: اعتقادنا في المساءلة في القبر أنّها حقّ [1]،[2].

(*) قال المؤلف قـده في ضمن جوابه عن المسألة الخامسـة من المسائل السروية: فأمّا كيفيـة عذاب الكافر في قبره و تنعّم المؤمن فيه، فانّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جناته، ينعمـه فيه إلى يوم الساعة فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي في التراب وتمزق ثـم أعاده إليـه وحشره إلى الموقف وامر بـه إلى جنة الخلـد، ولا يزال منعماً ببقاء الله عزّ وجلّ (بابقاء الله ـ ظ) غير أنّ جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا بل يعدل طبـاعه ويحسن صـورته ولا يهرم مع تعديل الطبـاع ولا يمسه نصب في الجنـة ولا لغوب، والكافـر يجعل في قالب كقـالبه في محل عـذاب يعاقب ونـار يعذب بها حتى الساعـة ثم ينشئ جسده الـذي فارقه في القبر فيعاد إليـه فيعذب به في الآخـرة عذاب الأبد ويركب أيضـاً جسده تركيباً لا يفنى معه وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (سورة المؤمن: ٤٦)وقال في قصة الشهداء: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران: ١٧٠) وهذا قد مضى في ما تقدم فدلّ على أنّ الثواب والعذاب يكون قبل يوم القيمة وبعدها، والخبروارد بأنّه يكون مع فراق الروح والجسـد في الدنيا والروح هيهنا عبارة عن الفعـال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة يصح عليها العلم والقـدرة لأنّ هذه الحياة عرض لا تبقى ولا يصح عليهـا الاعادة، فهذا ماعول عليه أهل النقل وجاء به الخبر على ما بيناه.

أُنظـر الصفحة ٤٠ ــ ٤٢ من هذا الكتـاب. طبع ١٣٧١ ج. فأخبر أنّهم أحياء وإن كـانت أجسادهم على وجه الأرض أموات لا حياة فيها. منه ره.

(١) الاعتقادات ص٥٨.

(٢) عنه في البحار ٦: ٢٧٩ ـ ٢٨٠ و ٥٣: ١٢٨ ـ ١٣٠.

قال أبو عبد الله الشّيخ المفيد ـ رضي الله عنـه ـ: الّذي ذكره أبو جعفر غير مفيد[١] لما تصـدق[٢] الحاجـة إليه في المسـاءلة والغـرض منها، والّـذي يجب أن يُذكر[٣] في هذا المعنى ما أنا مُثبته إن شاء الله تعالى.

جـاءت الآثـار الصّحيحـة عن النّبيّ ﷺ[٤] أنّ الملائكـة تنـزل[٥] على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبـار بذلك متقاربة؛ فمنها أنّ مَلكين لله تعالى يُقـال لهما: ناكر ونكير، ينـزلان على الميّت فيسألانه عن ربّـه ونبيّه ودينـه وإمامـه، فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى مـلائكة النّعيم، وإن ارتجّ[٦] عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب.

وقيل في بعض الأخبار[٧]: إنّ اسمَي الملَكين اللّـذَين ينـزلان على الكافـر: ناكـر ونكير، واسمَي الملكين اللّذَين ينزلان على المؤمن: مبشّـر وبشير، وقيل: إنّه إنّما سُمّي ملكـا الكافـر نـاكراً ونكيراً، لأنّـه ينكـر الحـقّ وينكر مـا يأتيـانه بـه ويكـرهه، وسـمّي ملكا المؤمن مبشّـراً وبشيراً، لأنّهما يبشّـرانه بالنّعيم، ويبشّـرانه من الله تعـالى بالـرّضا والثّـواب المقيم. وإنّ هذين الإسمين ليسـا بلقبٍ[٨] لهما،

---

(١) «ز» «ش»: جيّد.

(٢) في المطبوعة: يقصد.

(٣) «أ»: يذكره.

(٤) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٥) «ز»: تتنزّل.

(٦) رتج وارتج البـاب: أغلقه، ارتج على الخطيب: استغلق عليـه الكـلام، اُنظر (مجمع البحـرين ـ رتج) لفخر الدين الطريحي، أيضاً. ج.

(٧) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٨) «ق» تلقيباً.

وإنّهما[١] عبارة عن فعلهما.

وهذه أُمور يتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها، والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر فيها، وقد قلنا فيما سلف أنّه إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيُلهى عنه [٢]، وبيّنا أنّ الخبر جاء بذلك؛ فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه [٣].

فصل:

وليس ينزل الملكان إلاّ على حيّ، ولا يسألان إلاّ من يفهم المساءلة [٤] ويعرف معناها، وهذا يدلّ على أنّ الله تعالى يُحيي العبد بعد موته للمساءلة [٥]، ويُديم حياته لنعيم إن كان يستحقّه، أو لعذاب إن كان يستحقّه. نعوذ بالله من سخطه، ونسأله التّوفيق لما يُرضيه برحمته [٦].

والغرض من نزول الملكين ومساءلتهما العبد أنّ الله تعالى يوكّل بالعبد بعد موته ملائكة النّعيم أو ملائكة العذاب، وليس للملائكة طريق إلى علم ما يستحقّه العبد إلاّ بإعلام [٧] الله تعالى ذلك لهم؛ فالملكان اللّذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النّعيم والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وكّلا به

---

(١) «ح» «ق»: وإنّما هو. والأنسب في السّياق: وإنّما هما.

(٢) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٤) في بقيّة النّسخ: للمسألة.

(٥) في بقيّة النّسخ: المسألة.

(٦) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٧) «ز»: بإلهام.

استفهما حال العبد بالمساءلة [١]، فإن أجاب بما يستحقّ به النّعيم قام بذلك ملك النّعيم وعرج عنه ملك العذاب، وإن ظهرت فيه علامة استحقاقه [٢] العذاب [٣]، وكّل به ملك العذاب وعرج عنه ملك النّعيم.

وقد قيل: إنّ الملائكة الموكّلين بالنّعيم والعذاب [٤] غير الملكين الموكّلين بالمساءلة، وإنّما يعرف ملائكة النّعيم وملائكة العذاب ما يستحقّه العبد من جهة ملكي المساءلة، فإذا سألا العبد وظهر منه ما يستحقّ به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء وعرج ملكا المساءلة إلى مكانهما من السّماء. وهذا كلّه جائز، ولسنا نقطع بأحد دون صاحبه؛ إذ الأخبار فيه متكافئة والعبارة لنا في معنى ما ذكرناه الوقف والتّجويز [٥].

فصل:

وإنّما وكّل الله تعالى ملائكة المساءلة وملائكة العذاب والنّعيم بالخلق تعبّداً لهم بذلك، كما وكّل الكتبة من الملائكة بحفظ أعمال الخلق [٦] وكتبها ونسخها ورفعها تعبّداً لهم بذلك، وكما تعبّد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم، وطائفة منهم بإهلاك الأُمم، وطائفة [٧] بحمل العرش، وطائفة بالطّواف حول

---

(١) في بقيّة النّسخ: بالمسألة.

(٢) «ق»: استحقاق.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠ و ٢٨١.

(٤) «ح»: والعقاب.

(٥) بحار الأنوار ٦: ٢٨١.

(٦) «ح»: الخلائق.

(٧) «ز» زيادة: منهم.

البيت المعمور، وطائفة بالتّسبيح، وطائفة بالاستغفار للمؤمنين، وطائفة بتنعيم أهل الجنّة، وطائفة بتعذيب أهل النّار [والتّعبّد لهم] [١] بذلك ليثيبهم [٢] عليها. ولم يتعبّد الله الملائكة بذلك عبثا كما لم يتعبّد البشر والجن بما تعبّدهم به لعباً، بل تعبّد الكلّ للجزاء، وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى والتزامهم شكر النّعمة [٣] عليهم.

وقد كان الله تعالى قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة، وينعّم المطيع من غير واسطة، لكنّه سبحانه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه وبيّنا وجه الحكمة فيه ووصفناه، وطريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدّنيا بالوفاة هو السّمع، وطريق العلم بردّ الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل؛ إذ لا يصحّ مساءلة الأموات واستخبار الجماد [٤] [٥].

وإنّما يحسن الكلام للحيّ العاقل لما يكلّم به، وتقريره وإلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مساءل تردّ إليه الحياة عند مساءلته [٦] ليفهم ما يُقال له، فالخبر بذلك [٧] يؤكّد ما في العقل، ولو لم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّنّاه [٨].

---

(١) في المطبوعة: وتعبّدهم.

(٢) «ح» «ق» زيادة: على الأعمال الّتي يؤدّون بها التّكليف كما تعبّد البشر والجنّ بالأعمال ليثيبهم.

(٣) «ز»: النّعم.

(٤) في المطبوعة: الجمادات.

(٥) بحار الأنوار ٦:٢٨١.

(٦) في بقيّة النّسخ: مساءلتهم.

(٧) في بعض النّسخ: أكّد.

(٨) بحار الأنوار ٦: ٢٨١.

فصل: فيما ذكر الشّيخ أبو جعفر في العدل

قال أبو جعفر: باب الاعتقاد في العدل ... إلى آخره[1] [2].

قال الشّيخ المفيد أبو عبد الله ـ رحمه الله: العدل؛ هو الجزاء على العمل بقدر المستحقّ عليه، والظّلم؛ هو منع الحقوق، والله تعالى عدل كريم جواد متفضّل رحيم، قد ضمن الجزاء على الأعمال، والعوض[3] على المبتدئ من الآلام، ووعد التفضّل بعد ذلك بزيادة من عنده.

فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[4] الآية،فخبّر أنّ للمحسنين الثواب المستحق وزيادة من عنده وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[5] يريد أنّه لا يُجازيه بأكثر ممّا يستحقّه، ثمّ ضمن بعد ذلك العفو ووعد بالغفران.

---

(١) الاعتقادات ص ٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٥:٣٣٥/ ٢.

(٣) بحار الأنوار ٥:٣٣٥.

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) الأنعام: ١٦٠.

وقال النّراقيّ الأوّل ـ قدّس سرّه ـ في كتابه «مشكلات العلوم ص ١٦٢» عند كلامه على تفسير قول الله تعالى: ﴿وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾ (آل عمران: ١٨٢):إنّ صيغة المبالغة إنّما جيء بها لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم في نفسه، فإنّ الظّالم على الجمع الكثير يكون ⇐

فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (٣) والحقّ الّذي للعبد هو ما جعله الله تعالى حقّاً له واقتضاه [جود الله وكرمه] (٤)، وإن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النّعم الّتي أسلفها حقّ، لأنّه تعالى ابتدأ خلقه بالنّعم وأوجب عليهم بها الشّكر، وليس أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى عليه بعمل، ولايشكره أحد إلاّ وهو مقصّر بالشّكر عن حقّ النّعمة.

وقد أجمع أهل القبلة (٥) على أنّ من قال: إنّي وفيت (٦) جميع ما لله تعالى عليّ وكافأت نعمه بالشّكر، فهو ضالّ، وأجمعوا على أنهّم مقصرّون عن حقّ الشّكر، وأنّ لله عليهم حقوقاً لو مدّ في أعمارهم إلى آخر مدى الزّمان لما وفوا لله سبحانه بما

⇐ كثيرالظّلم نظراً إلى كثرة المظلومين، فيصحّ الإتيان بصيغة المبالغة الدالّة على كثرة أفراد الظّلم نظراً إلى كثرة أفراد المظلوم، فمن كانت عبيده كثيرة فإن كان يظلم الكلّ فالأنسب به اسم الظلاّم دون الظّالم، فإذا لم يكن ظالماً لشيء منهم فاللاّزم نفي الظّلاّم عنه؛ إذ لو فرض صدور الظّلم منه لكان ظلاّماً لا ظالماً. ولذا إذا أُفرد المفعول لا يُؤتى بصيغة المبالغة، ومع كونه جمعاً يؤتى بها؛ كقوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ و ﴿علاّم الغيوب﴾ وقولهم: زيد ظالم لعبده، وزيد ظلاّم لعبيده.

والحاصل: أنّ صيغة المبالغة هنا لكثرة المفعول لا لتكرار الفعل.ج.

(١) الرّعد: ٦.

(٢) النّساء: ٤٨.

(٣) يونس: ٥٨.

(٤) «ز»: جوده أو كرمه.

(٥) «ح»: العقل.

(٦) بحار الأنوار ٥: ٣٣٥.

لَهُ عليهم، فدلّ ذلك على أنّ ما جعله حقّـاً لهم فإنّما جعله بفضله وجوده وكرمه. ولأنّ حـال العامل الشّـاكر بخـلاف حـال من لا عمل له في العقـول، وذلك أنّ الشّاكر يستحقّ في العقول الحمد، ومن لا عمل له فليس في العقول له حمد، وإذا ثبت الفضل [١] بين العامل ومن لا عمل له [٢] كان ما يجب في العقول من حمده [٣] هو الّـذي يحكم عليه بحقّه ويُشار إليـه بذلك، وإذا أوجبت العقول له مـزيّة على من لا عمل له كـان العدل من الله تعالى معاملتـه بما جعله [٤] في العقول له حقّاً.

وقد أمر الله تعالى بالعدل ونهى عن الجور، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [٥][٦].

---

(١) في بعض النّسخ: الفصل.

(٢) بحار الأنوار ٥: ٣٣٦.

(٣) «ق»: الحمد.

(٤) «ز»: جعل.

(٥) النّحل: ٩٠.

(٦) بحار الأنوار ٥: ٣٣٦.

فصل: في الأعراف

قال أبو جعفر : اعتقادنا في الأعراف أنّه سور ... إلى آخره [١][٢].

قـال الشّيخ المفيـد ــ رحمه الله ــ: قـد قيل إنّ الأعـراف جبل بين الجنّـة والنّار.وقيل أيضاً: إنّه سور بين الجنّة والنّـار. وجملة الأمر في ذلك: أنّه مكان ليس من الجنّة ولا من النّار [٣].

وقد جاء الخبر بما ذكرنـاه، وأنّه إذا كان يوم القيامة كـان به رسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة مـن ذرّيّته ﷺ وهم الّـذين عنى الله سبحانـه بقولـه: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [٤] وذلك أنّ الله تعـالى يعلّمهم أصحـاب الجنّـة وأصحاب النّار بسيماء يجعلهـا عليهم ـ وهي العلامات ـ وقد بيّـن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ و ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [٥][٦].

---

(١) الاعتقادات ص٧٠.

(٢) عنه في البحار ٨: ٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٣٤٠.

(٤) الأعراف: ٤٦.

(٥) الرّحمن: ٤١.

(٦) بحار الأنوار ٨: ٣٤٠.

وقـد قال الله تعـالى: ﴿إِنَّ فِـي ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِلْمُتَـوَسِّمِينَ وَإِنَّـها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[١] فأخبر أنّ في خلقه طائفة يتوسّمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم.

وروي عن أمير المؤمنين -عليه السّلام- أنّه قال في بعض كلامـه: أنا صاحب العصا والميسم. يعني: علمه بمن يعلم حاله بالتّوسّم.

وروي عن أبي جعفـر محمّد بن عليّ البـاقر -عليه السّلام- أنّه سُئل عن قـوله تعالى: ﴿إِنَّ فِـي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: فينا نزلت أهل البيت. يعني: في الأئمّة -عليهم السّلام- .

وقـد جـاء الحديث بأنّ الله تعالى يُسكـن الأعراف طـائفـة من الخلق [٢] لم يستحقّوا بأعمالهم الجنّة على الثّبات من غير عقـاب، ولا استحقّوا الخلود في النّار، وهم المرجون لأمر الله، ولهم الشّفاعة، ولا يـزالون على الأعراف حتّى يؤذن لهم في دخول الجنّة بشفاعة النّبيّ ﷺ وأمير المؤمنين والأئمّة من بعده -عليهم السّلام-.

وقيل أيضـاً: إنّه مسكن طـوائف لم يكونـوا في الأرض مكلّفين فيستحقّون بأعمالهم جنّـة وناراً، فيسكنهم الله ذلك المكـان ويعوّضهم على آلامهم في الـدّنيا بنعيم لا يبلغون به منازل أهـل الثّواب المستحقّين له بالأعمال[٣]. وكلّ ما ذكرناه جائز في العقول.

وقد وردت به أخبـار - والله أعلم بالحقيقة من ذلك - إلاّ أنّ المقطوع به في جملته أنّ الأعراف مكان بين الجنّة والنّار، يقف فيه من سمّيناه من حجج الله تعالى على خلقه، ويكـون به يوم القيـامة قوم مـن المرجين لأمر الله، وما بعـد ذلك فالله أعلم بالحال فيه [٤].

---

(١) الحجر: ٧٥ـ٧٦.

(٢) بحار الأنوار ٨: ٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٣٤١.

(٤) بحار الأنوار ٨: ٣٤١.

فصل: في الصّــراط

قال أبو جعفر: اعتقادنا في الصّـراط أنّه حقّ، وأنّه جسر [1][2].

قال الشّيخ المفيد أبو عبد الله ـ رحمه الله ـ: الصـّراط في اللّغة هو الطّريق، فلذلك سُمّي الدّين صراطاً، لأنّه طريق إلى الصّواب، [وله سمّي] [3] الولاء لأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيته ـ عليهم السّلام ـ صراطاً [4].

ومن معنـاه قال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: أنا صراط الله المستقيم، وعـروته الوثقى الّتي لا انفصام لها. يعني: أنّ معرفته والتّمسّك به طريق إلى الله سبحانه.

وقد جاء الخبر بأنّ الطّريق يوم القيامة إلى الجنّة كالجسر يمّر به النّاس، وهو الصّـراط الّذي يقف عن يمينه رسول الله ﷺ وعن شماله أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ويأتـيهما النّـداء مـن قـبل الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [5] وجاء الخـبر أنّـه لا يعبر الصّـراط يـوم القـيامة إلاّ مـن كــان معـه بـراءة [6] من عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ من النّار [7].

---

(١) الاعتقادات ص ٧٠.

(٢) عنه في البحار ٨: ٧٠.

(٣) «ق» وبه يُسمّى.

(٤) بحار الأنوار ٨: ٧٠.

(٥) ق: ٢٤.

(٦) برات: يعني الفرمان الملكي. ج.

(٧) بحار الأنوار ٨: ٧٠.

وجاء الخبر بأنّ الصّراط أدقّ من الشَّعرة وأحدّ من السّيف على الكافر [١].

والمراد بذلك أنّه لا تثبت لكافر قدم على الصّراط يوم القيامة من شدّة ما

---

(١) قال العلاّمة الشّهرستانيّ في مجلّة «المرشد ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ج١» في جواب هذا السّؤال:

من الوارد في الأخبار المأثورة عن الصّراط أنّه أدقّ من الشّعر وأحدّ من السّيف، فأيّ معنى يقصد من الشّعرة والسّيف؟

الجواب: لم يفصّل كتاب الله الحكيم من هذا القبيل شيئاً، وقد استعمل لفظ الصّراط بمعنى الطّريق والمسلك المؤدّي إلى غاية قدسيّة مرغوبة؛ استعارة تمثّل شرع الحقّ المؤدّي إلى جنانه ورضوانه بالصّراط.

نعم؛ تضمّنت تفاصيل السّؤال بعض مرويّات قاصرة الإسناد ـ ولا ضير ـ فقد وردت في شرحها أحاديث أُخرى عن أئمّة الإسلام تفسّر الصّراط الممدود بين النّار والجنّة كالشّعرة دقّة، وكالسّيف حدّة بسيرة الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

والحديث المجمع على صحّته ناطق بأنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ قسيم النّار والجنّة، وأنّ طريقته المُثلى هي المسلك الوحيد المفضي إلى الجنان والرّضوان.

ومعلوم لدى الخبراء أنّ سيرة عليّ ـ عليه السّلام ـ كانت أدقّ من الشّعرة، فإنّه ـ عليه السّلام ـ ساوى في العطاء بين أكابر الصّحابة الكرام، كسهل بن حنيف، وبين أدنى مواليهم، وكان يقصّ من أكمام ثيابه لاكساء عبده، ويحمل إلى اليتامى والأيامى أرزاقهم على ظهره في منتصف اللّيل، ويُشبع الفقراء ويبيت طاوي الحشا، ويختار لنفسه من الطّعام ما جشب، ومن اللّباس ما خشن، ويوزّع مال الله على عباد الله في كلّ جمعة ثمّ يكنس بيت المال ويصلّي فيه، وهو يعيش على غرس يمينه وكدّ يده، وحاسب أخاه عقيلاً بأدقّ من الشّعرة في قصّته المشهورة *، وطالب شريحاً القاضي أن يساوي بينه وبين خصمه الإسرائيليّ عند المحاكمة. إلى غير ذلك من مظاهر ترويضه النّفس والزّهد البليغ، حتّى غدا الاقتداء به في إمامة المسلمين فوق الطّوق.

وكما كانت سيرة عليّ ـ عليه السّلام ـ أدقّ من الشّعرة كانت مشايعته في الخطورة أحدّ من السّيف، نظراً إلى مزالق الأهواء والشّهوات، ومراقبة السّلطات من بني أُميّة وتتبّعهم أولياء عليّ ـ عليه السّلام ـ وأشياعه وأتباعه تحت كلّ حجر ومدر. ج .

---

* أُنظر (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ ص ٤٢١ ـ ٤٣٠ ج ٧ ط إيران على الحجر) للعلامة المحقق الأديب والفقيه المتكلّم الأريب الحاج ميرزه حبيب الله الموسوي الخوئي ⇦

يلحقهم من أهوال يوم [1] القيامة ومخاوفها، فهم يمشــون عليه كالّذي يمشي على الشّــيء الّذي هو أدقّ من الشّعرة وأحدّ من السّيف. وهذا مَثَلٌ مضروب لما يلحق الكافر من الشّــدّة في عبوره على الصّــراط، وهو طريق إلى الجنّــة وطريق إلى النّار، يشرف[2] العبد منه إلى الجنّة [3] ويرى منه أهوال النّار.

---

(١) ليست في بقيّة النّسخ.

(٢) «ز»: يسير.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٧١.

⇐ الآذربيجـاني ـ ولما انجـر الكلام إلى هـذا المقام لا بـأس بأن نشير إلى وجيز من تـرجمة العلامـة الخوئي ـ كما أفاد نفسه طاب رمسه ـ فنقول: قال في (مرآة الكتب ـ مخطوط): الحاج ميرزا حبيب الله من المعاصرين تشرفت بملاقاته في بلدة تبريز وكـان مولده كما ذكره نفسه خامس شهر رجب سنة ١٢٦٥ هــ اشتغل بالتحصيل عند الاسـاتيذ الفخام كـالسيد العلامـة الحاج السيد حسين الترك والمحقق الحاج ملاّ علي بن الحاج ميرزا خليل الطهراني وله اجازة عامة منهما، وكان فاضلاً محققاً ولـه من المؤلفات: شرح نهج البلاغة ، وحـاشية على بعض أبواب القـوانين في أربعة عشر ألف بيت، وكتاب منتخب الفن في حجية القطـع والظن، وكتاب إحقاق الحق في تحقيق المشتق، وكتاب الجنـة الواقيـة في أدعية نهار رمضـان مع شرحها، وشرح كتـاب القضاء والشهـادات من الدروس. كذا أفـاده سلّمه الله. سافر في هـذه الأواخر إلى طهران لعرض شرح نهج البـلاغة على السلطان المغفور له مظفر الدين شاه واستدعاه أمره بطبعه فنال من السلطان المزبور احتراماً وأمر بطبع الكتاب ثم عرض العوارض وتوفّـي السلطان المزبور (سنة ١٣٢٤ هـ) وتوفّـي هو رحمه الله في طهران سنة ١٣٢٥ هـ ولم أقف هل طبع شيء من الكتاب أم لا؟».

أقول: وقد طبع الكتاب أخيراً بتبريز في سبعة أجـزاء على النسخة التي كانت قد كتبت بمداد الطبع سنة ١٣٢٥ ـ ١٣٢٨ هـ بأمر ولـد المؤلّف العالم الحاج أمين الإسلام نزيل طهران، وينتهي المطبوع منه إلى شرح الخطبة الثامنة والعشرين بعد المائتين، وقـال كاتب النسخة في آخرها: «هذا آخر مـا وفق الشارح بشرحه روح الله روحـه وكتبته أنـا حسب أمر ولده السيـد السند الحاج أمين الإسلام ...في ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ». هذا وقد ذكر لي نجل المؤلف السيد نعمة الله (هاشمى) أنّ أباه العلاّمـة مات بطهران ونقل جثمانه إلى بلدة قم المشرفـة ودفن هناك قدس الله سره ورحمه رحمة واسعة. ج.

وقد يعبر بـه عن الطريق المعـوجّ فلهذا قـال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾[١] فميّـز بين طـريقـه الّذي دعـا إلى سلـوكـه من الـدّين، وبين طـرق الضّلال.

وقال الله تعالى فيما أمر به عباده من الدّعاء وتلاوة القرآن:﴿اهدِنَا الصِّـراطَ المُسْتَقِيمَ﴾[٢] فدلّ على أنّ ما سواه صراط غير مستقيم.

وصراط الله تعالى دين الله ، وصراط الشّيطـان طريق العصيـان، والصّـراط في الأصل ـ على ما بيّناه ـ هو الطّريق، والصّـراط يوم القيامة هو الطّريق المسلوك إلى الجنّة أو[٣] النّـار ـ على ما قدّمناه[٤].

---

(١) الأنعام: ١٣٥.

(٢) الحمد: ٦.

(٣) في بقيّة النّسخ: و.

(٤) بحار الأنوار ٨:٧١.

فصل: في العقبات على طريق المحشر

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في العقبات: اسم كلّ عقبة اسم فرض أو أمر أو نهي [1][2].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: العقبات عبارة عن الأعمال الواجبات [3] والمساءلة عنها والمواقفة عليها، وليس المراد بها جبال في الأرض تقطع وإنّما هي الأعمال شبّهت [4] بالعقبات، وجُعل الوصف لما يلحق الإنسان في تخلّصه من تقصيره [5] في طاعة الله تعالى كالعقبة الّتي يجهد صعودها وقطعها [6].

قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [7] الآية، فسمّى سبحانه الأعمال الّتي كلّفها العبد عقبات تشبيهاً لها بالعقبات والجبال لما يلحق الإنسان في أدائها من المشاق، كما يلحقه في صعود العقبات وقطعها.

---

(١) الاعتقادات ص ٧١.

(٢) بحار الأنوار ٧: ١٢٨ـ١٢٩/ ١١.

(٣) في المطبوعة: الواجبة.

(٤) «ح» «ش»: شبّهها.

(٥) في المطبوعة: التّقصير.

(٦) بحار الأنوار ٧: ١٢٩.

(٧) البلد: ١١ـ١٣.

قال أمير المؤمنين -عليه السّلام- : إن أمامكم عقبة كؤوداً [١] ومنازل مهولة [٢]، لابدّ من الممرّ بها، والوقوف عليها؛ فإمّا برحمةٍ من الله نجوتم، وإمّا بهلكةٍ ليس بعدها انجبار [٣][٤].

أراد -عليه السّلام- بالعقبة: تخلّص الإنسان من التّبعات الّتي عليه، وليس كما ظنّه الحشويّة من أنّ في الآخرة جبالاً وعقبات يحتاج الإنسان إلى قطعها ماشياً وراكباً [٥]، وذلك لا معنى له فيما توجبه الحكمة من الجزاء، ولا وجه لخلق عقبات تسمّى بالصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ وغيرها من الفرائض، يسأم الإنسان أن يصعدها، فإن كان مقصّراً في طاعة الله حال ذلك بينه وبين صعودها؛ إذ كان الغرض في القيامة المواقفة على الأعمال والجزاء عليها بالثّواب والعقاب، وذلك غير مفتقر إلى تسمية [٦] عقبات وخلق جبال، وتكليف قطع ذلك وتصعيبه [٧] أو تسهيله مع أنّه لم يرد خبر صحيح بذلك على التّفصيل فيعتمد عليه وتخرج له الوجوه، وإذا لم يثبت بذلك خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه [٨].

---

(١) صعبة شاقّة المصعد.

(٢) المهول: المخوف. ذو الهول.

(٣) انجبر: صلح بعد الكسر. ج.

(٤) نهج البلاغة/ الخطبة ٢٠٢.

(٥) بحار الأنوار ٧: ١٢٩.

(٦) «ح» «ش» «ق»: نسبة.

(٧) بحار الأنوار ٧: ١٣٠.

(٨) بحار الأنوار ٧: ١٣٠.

فصل: في الحساب والموازين [1]

قال الشّيخ أبو جعفر: اعتقادنا في الحساب أنّه حقّ [2].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: الحساب هو المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها، والموافقة للعبد على ما فرّط منه، والتّوبيخ له على سيّئاته، والحمد له على حسناته، ومعاملته في ذلك باستحقاقه. وليس هو كما ذهبت العامّة إليه من مقابلة الحسنات بالسّيّئات والموازنة [3] بينهما على حسب استحقاق الثّواب والعقاب عليهما، إذ كان التّحابط بين الأعمال غير صحيح، ومذهب المعتزلة فيه باطل غير ثابت، وما اعتمده [4] الحشويّة في معناه غير معقول.

والموازين هي التّعديل بين الأعمال والجزاء عليها، ووضع كلّ جزاء في موضعه، وإيصال كلّ ذي حقّ إلى حقّه. فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو؛ من أن في القيامة موازين كموازين الدّنيا، لكلّ ميزان كفّتان توضع الأعمال فيها؛ إذ الأعمال أعراض [5]، والأعراض لا يصحّ وزنها، وإنّما توصف بالثّقل والخفّة على وجه المجاز، والمراد بذلك أنّ ما ثقل [6] منها هو ما

---

(١) في بعض النّسخ: الميزان.

(٢) الاعتقادات ص ٧٣.

(٣) بحار الأنوار ٧: ٢٥٢.

(٤) «أ» «ح» «ش» «ق»: يعتمده، «ز»: اعتمد.

(٥) بحار الأنوار ٧:٢٥٢.

(٦) «ز»: يثقل.

كثر واستحقّ عليه عظيم الثّواب، وما خفّ منها ما قلّ قدره ولم يستحقّ عليه جزيل الثّواب.

والخبر الوارد في أنّ أمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّته -عليهم السّلام- هم الموازين، فالمراد أنّهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحقّ عليها، والحاكمون فيها بالواجب والعدل. ويقال فلان عندي في ميزان فلان، ويراد به نظيره. ويقال: كلام فلان عندي[١] أوزن من كلام فلان[٢]، والمراد به أنّ كلامه أعظم وأفضل قدراً، والّذي ذكره الله تعالى في الحساب والخوف منه إنّما هو المواقفة على الأعمال، لأنّ من وقف على أعماله لم يتخلّص من تبعاتها، ومن عفى الله تعالى عنه في ذلك فاز بالنّجاة: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ -بكثرة استحقاقه الثّواب- فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ -بقلّة أعمال[٣] الطّاعات- فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٤] والقرآن إنّما أُنزل بلغة العرب وحقيقة كلامها ومجازه، ولم ينزل على ألفاظ العامّة وما سبق إلى قلوبها من الأباطيل[٥].

---

(١) «ق»: عندنا.

(٢) بحار الأنوار ٧:٢٥٢.

(٣) «ح» «ش» «ق»: أعماله.

(٤) المؤمنون: ١٠٢ـ١٠٣.

(٥) بحار الأنوار ٧: ٢٥٢.

فصل: في الجنّة والنّار (*)

قال أبو جعفر: اعتقادنا في الجنّة أنّها دار البقاء [1]،[2].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: الجنّة؛ دار النّعيم لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها لغوب، و [3] جعلها الله سبحانه داراً لمن عرفه و عبده، [ونعيمها دائم][4] لا انقطاع له، والسّاكنون فيها على أضرب:

فمنهم: من أخلص لله تعالى، فذلك الّذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى.

ومنهم: من خلط عمله الصّالح بأعماله [5] السّيّئة كأن يسوّف منها التّوبة، فاخترمته المنيّة قبل ذلك، فلحقه خوف من العقاب في عاجله وآجله، أو في عاجله دون آجله، ثمّ سكن الجنّة بعد [عفو الله أو عقابه] [6]، [7].

---

* أنظر كتاب (علم اليقين في أصول الدين ـ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩) للمحدّث القاشاني. ج.

(١) الاعتقادات ص ٧٦.

(٢) البحار ٨: ٢٠٠ ـ ٢٠١ / ٢٠٤ و ٨: ٣٢٤ ـ ٣٢٥/ ١٠٢.

(٣) ليست في «ز».

(٤) «ق»: وجعل نعيمها دائماً.

(٥) «ح» «أ» «ش»: بأعمال سيّئة ، «ق»: بالأعمال.

(٦) في بقيّة النّسخ: عفو أو عقاب.

(٧) بحار الأنوار ٨: ٢٠١.

ومنهم: من يتفضّل [١] عليه بغير عمل سلف منه في الـدّنيا، وهم الولدان المخلّـدون الّذين جعل الله تعـالى تصرّفهم لحوائج أهل الجنّة ثـواباً للعـاملين [٢]، وليس في تصرّفهم مشـاقّ عليهم ولا كُلفـة، لأنّهم مطبوعـون إذ ذاك على المسـارّ بتصرّفهم في حوائج المؤمنين.

وثواب أهل الجنّـة الالتذاذ [بـا لمآكل والمشارب] [٣] والمناظر والمنـاكح وما تدركه حواسّهم ممّـا يطبعون على الميل إليه، ويدركون مرادهم بالظفر به وليس في الجنّة من البشر من يلتذّ بغير مأكل ومشرب وما تدركه الحواس من الملذوذات.

وقول من يزعم [٤]: أنّ في الجنّـة بشراً يلتـذّ بـالتّسبيـح والتّقـديس من دون الأكل والشّرب، قول شـاذّ عن دين الإسلام، وهـو مأخوذ من مـذهب النّصارى الّـذين زعمـوا أنّ المطيعين في الدّنيـا يصيرون في الجنّـة مـلائكة لا يطعمـون ولا يشربون ولا ينكحون.

وقد أكـذب الله سبحانه هـذا القول في كتابـه بما رغّب العاملين [٥] فيه من الأكل والشرب والنّكاح، فقـال تعالى: ﴿أُكُلُهَـا دَائِمٌ وَظِلُّـهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّـذِينَ اتَّقَوْا﴾ [٦] الآية، وقال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْـرِ آسِنٍ﴾ [٧] الآية؛ وقال تعالى:

---

(١) «ح»: تفضّل.

(٢) «أ» «ز» «ق»: العالمين.

(٣) «ق»: بالمأكل والمشرب.

(٤) «أ» «ز»: زعم.

(٥) في بعض النّسخ: العالمين.

(٦) الرّعد: ٣٥.

(٧) محمّد: ١٥.

﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾ [١] وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [٢] وقال سبحانه: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [٣] وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [٤] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ [٥] الآية، وقال سبحانه: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [٦].

فكيف استجاز من أثبت في الجنّة طائفة من البشر لا يأكلون ولا يشربون ويتنعّمون بما به الخلق من الأعمال يتألّمون، وكتاب الله تعالى شاهد بضدّ ذلك والإجماع على خلافه، لولا أن [٧] قلّد في ذلك من لا يجوز تقليده أو عمل على حديث موضوع [٨]؟!

وأمّا النّار؛ فهي [دار من] [٩] جهل الله سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه [بمعصية الله] [١٠] تعالى، غير أنّه لا يخلد فيها، بل يخرج منها إلى النّعيم المقيم، وليس يخلد فيها إلّا الكافرون.

وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلَيهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [١١] يريد [بالصّلي هاهنا] [١٢] الخلود فيها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً﴾ [١٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [١٤]

---

(١) الرّحمن: ٧٢.

(٢) الواقعة: ٢٢.

(٣) الدّخان: ٥٤.

(٤) ص: ٥٢.

(٥) يس: ٥٥.

(٦) البقرة: ٢٥.

(٧) «أ» «ح» «ق»: أنّه.

(٨) بحار الأنوار ٨: ٢٠٢.

(٩) «ز»: دار القرار لمن.

(١٠) «ز»: بمعصيته.

(١١) اللّيل: ١٤ ـ ١٦.

(١٢) «ق»: بالأشقى ها هنا الكافر، وبالإصلاء.

(١٣) النّساء: ٥٦.

(١٤) المائدة: ٣٦.

الآيتان. وكلّ آية تتضمّن ذكر الخلود في النّار فإنّما هي في الكفّار دون أهل المعرفة بـالله تعالى بـدلائل العقول والكتـاب المسطور والخبر الظّـاهر المشهـور والإجماع والرّأي[1] السّابق لأهل البدع من أصحاب الوعيد.

[حدّ التّكفير]

فصل:

وليس يجوز أن يعرف الله تعالى من هو كافر به، ولا يجهله من هو به مؤمن، وكلّ كافر على أُصـولنا فهو جاهل بـالله، ومن خالف أُصول الإيمان من المصلّين إلى قبلة الإسلام فهو عندنا جاهل بـالله سبحانه وإن أظهر القول بتوحيده تعالى، كما أنّ الكافر بـرسول الله ﷺ جاهل بـالله وإن كان فيهم من يعترف بتـوحيد الله تعالى ويتظاهر بما يوهم المستضعفين أنّه معرفة بالله تعالى.

وقد قـال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُـؤْمِنْ بِرَبِّـهِ فَـلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقـاً﴾[2] فأخرج بذلك المؤمن عن أحكام الكـافرين، وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[3] الآية، فنفى عمّن كفر بنبيّ الله ﷺ الإيمان، ولم يثبت له مع الشّكّ فيه المعرفة بالله على حال.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ ـ إلى قوله ـ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[4] فنفى الإيمان عن اليهـود والنّصـــارى، وحكم عليهم بالكفر والضّلال[5].

---

(١) ليست في بقيّة النّسخ.

(٢) الجنّ: ١٣.

(٣) النّساء: ٦٥.

(٤) التّوبة: ٢٩.

(٥) بحار الأنوار ٨: ٣٢٦.

فصل: في كيفيّة نزول الوحي

قال الشّيخ أبـو جعفـر ـ رحمـه الله ـ [في نـزول الوحـي] [١]: اعتـقـادنا في ذلك [٢] أنّ بين عيني إسرافيل [٣] ... إلخ [٤]،[٥].

قال الشّيـخ المفيد ـ رحمه الله [٦] ـ : هـذا أخـذه أبـو جعفر ـ رحمه الله ـ من شواذّ الحديث، وفيـه خلاف لما قدّمـه من أنّ اللّوح ملك من ملائكـة الله تعالى. وأصل الوحي هـو الكلام الخفيّ [٧]، ثمّ قـد يطلق على كلّ شيء قصـد به إفهـام المخاطب على السّـرّ له عن غيره والتّخصيص له بـه دون من سواه، وإذا أُضيف إلى الله تعالى كان [فيما يخصّ] [٨] به الرّسل ـ صلّـى الله عليهم ـ خاصّة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النّبيّ ﷺ.

---

(١) ليست في بقيّة النّسخ.

(٢) «ز»: اللّوح.

(٣) «ق»: زيادة: لوحاً، فإذا أراد الله تعالى أن يتكلّم بـالوحي ضرب اللّوح على جبين إسرافيل، فينظر فيه، وألقاه إلى ميكائيل، ويُلقيه ميكائيل إلى جبرئيل، ويُلقيه جبرئيل إلى الأنبياء.

(٤) الاعتقادات ص ٨١.

(٥) عنه في البحار ١٨: ٢٤٨ / ١.

(٦) بحار الأنوار ١٨: ٢٤٨.

(٧) بحار الأنوار ٢٦: ٨٣.

(٨) «ز»: يختصّ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [(١)] الآية، فاتّفق أهل الإسلام على أنّ الوحي كان رؤيا مناما أو كلاماً سمعته أُمّ موسى في منامها على الاختصاص، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [(٢)] الآية، يريد به الإلهام الخفيّ؛ إذ كان [خاصّاً بمن] [(٣)] أفرده به دون من سواه، فكان علمه حاصلاً للنّحل بغير كلام جهر به المتكلّم فأسمعه غيره.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [(٤)] بمعنى ليوسوسون [(٥)] إلى أوليائهم بما يُلقونه من الكلام في أقصى أسماعهم، فيخصّون بعلمهم[(٦)] دون من سواهم، وقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ [(٧)] يريد به أشار إليهم من غير إفصاح الكلام، شبّه ذلك بالوحي لخفائه عمّن سوى المخاطبين، ولستره [(٨)] عمّن سواهم.

وقد يُري الله سبحانه وتعالى في المنام خلقاً كثيراً ما يصحّ تأويله [ويثبت حقّه] [(٩)] لكنّه لا يُطلق بعد استقرار الشّريعة عليه اسم الوحي، ولا يقال في هذا الوقت لمن طبعه [(١٠)] الله على علم شيء أنّه يُوحى إليه. وعندنا أنّ الله تعالى يُسمع الحجج بعد نبيّه ﷺ كلاماً يُلقيه إليهم [(١١)] في علم ما يكون، لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدّمناه [(١٢)] من إجماع المسلمين على أنّه لا وحي [إلى أحد] [(١٣)] بعد

---

(١) القصص: ٧.

(٢) النّحل: ٦٨.

(٣) في بعض النّسخ: خالصاً لمن.

(٤) الأنعام: ١٢١.

(٥) «ح» «ز» «ق»: يوسوسون.

(٦) «ق»: بعلمه.

(٧) مريم: ١١.

(٨) «أ»: وستره، «ز» والمطبوعة: وسرّه.

(٩) في بعض النّسخ: وتثبت حقيقته.

(١٠) في بعض النّسخ: أطلعه.

(١١) «ح» زيادة: أي الأوصياء.

(١٢) أُنظر (أوائل المقالات ص ٧٨ الطبعة الأولى). ج

(١٣) «ح»: لأحد.

نبيّنا ﷺ، وأنّه لا يُقال في شيء ممّا ذكرناه [١] أنّه وحى إلى أحد. ولله تعالى أن يُبيح إطلاق الكلام أحياناً ويحظره أحياناً، ويمنع السّمات [٢] بشيء حيناً ويُطلقها حيناً. فأمّا المعاني؛ فإنّها لا تتغيّر عن حقائقها على ما قدّمناه [٣].

فصل :

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله تعالى ـ [٤]:

فأمّا الوحي من الله تعالى إلى نبيّه ﷺ فقد كان تارة بإسماعه الكلام من غير واسطة، وتارة بإسماعه الكلام على ألسن الملائكة. والّذي ذكره أبو جعفر ـ رحمه الله ـ من اللّوح والقلم وما ثبت فيه فقد جاء به حديث، إلاّ أنّا لا نعزم على القول [٥] به، ولا نقطع على الله بصحّته، ولانشهد منه إلاّ بما علمناه [٦]، وليس الخبر به متواتراً يقطع العذر، ولا عليه إجماع، ولا نطق به القرآن، ولا ثبت عن حجّة الله تعالى فينقاد له والوجه أن نقف فيه ونجوّزه ولا نقطع به ولا نجزم [٧] له [٨] ونجعله في حيّز الممكن.

فأمّا قطع أبي جعفر به وعلمه على اعتقاده فهو يستند إلى ضرب من التّقليد، ولسنا من التّقليد في شيء [٩].

---

(١) «ز»: ذكرنا.

(٢) في المطبوعة: السّماع. في (المنجد ـ مادة وسم) السمة: مص. العلامة. اثر الكى ج سمات ج.

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ٨٤.

(٤) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٠.

(٥) «أ»: القبول.

(٦) «ق» «ز»: علمنا.

(٧) كذا في المطبوعة، وفي النّسخ المخطوطة بدل «نجزم» كلمة لا تقرأ فراجع.

(٨) كذا في جميع النّسخ، والأنسب: به.

(٩) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٠.

فصل: في نزول القرآن

قال الشّيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ [1]،[2]: إنّ القرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، ثمّ أُنزل من البيت المعمور في مدّة عشرين سنة [3]... إلخ [4].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ [5]: الّذي ذهب إليه أبو جعفر في هذا الباب أصله حديث واحد لا يوجب علماً ولاعملاً [6]. ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً بحال [7] يدلّ على خلاف ما تضمّنه الحديث، وذلك أنّه قد تضمّن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه، وذلك لا يكون على الحقيقة إلاّ

---

(١) الاعتقادات ص ٨٢.

(٢) عنه في البحار ١٨: ٢٥٠ ـ ٢٥١ / ٣.

(٣) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٠.

(٤) تمام الكلام: وانّ الله عزّ وجلّ أعطى نبيّه ﷺ العلم جملة، ثمّ قال له: لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾ وقال: ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به انّ علينا جمعه وقرآنه﴾ الآية (سورة القيامة ـ ١٧ ـ ١٨). ج.

(٥) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٢.

(٦) أُنظر (أمالي السيد المرتضى ـ ص ١٦١ ج ٤ ط مصر) ج.

(٧) في المطبوعة: فحالاً.

بحدوثه عند السّبب، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (١) وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحمنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ (٢) وهذا خبر عن ماضٍ، ولا يجوز أن يتقدّم مخبره، فيكون حينئذ جزاءاً (٣) عن ماض وهو لم يقع بل هو في المستقبل. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.

وقد جاء الخبر بذكر الظّهار وسببه، وأنّها (٤) لمّا [جادلت النبيّ ﷺ] (٥) في ذكر الظّهار أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (٦) وهذه قصّة (٧) كانت بالمدينة فكيف ينزل الله تعالى الوحي بها بمكّة قبل الهجرة، فيخبر بها أنّها قد كانت ولم تكن! (٨) ولو تتبّعنا قصص القرآن لجاء ممّا ذكرناه (٩) كثير لا يتّسع به المقال، وفيما ذكرناه منه كفاية لذوي الألباب. وما أشبه ما جاء به الحديث بمذهب المشبّهة الّذين زعموا أنّ الله سبحانه وتعالى لم يزل متكلّماً بالقرآن ومخبراً عمّا يكون بلفظ كان، وقد ردّ عليهم أهل التّوحيد بنحو ما ذكرناه.

وقد يجوز في الخبرالوارد في نزول القرآن جملة في ليلة القدر بأنّ المراد أنّه نزل جملة منه في ليلة القدر، ثمّ تلاه ما نزل منه إلى وفاة النّبيّ ﷺ فأمّا أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر، فهو بعيد ممّا يقتضيه ظاهر القرآن و المتواتر من الأخبار و إجماع العلماء على اختلافهم في الآراء (١٠).

---

(١) النّساء: ١٥٥.
(٢) الزّخرف: ٢٠.
(٣) في المطبوعة وبعض النّسخ: خبراً.
(٤) في بعض النّسخ: وإنّها.
(٥) «ز»: جادلته الّتي.
(٦) المجادلة: ١.
(٧) «ق»: قضيّة.
(٨) أُنظر مجمع البيان ص ٢٤٦ ج ٥ ط صيدا للشيخ الطوسي ره ج.
(٩) «ق»: ذكرنا.
(١٠) أُنظر تفسير المنار ص ١٧١ ـ ١٧٢ ج٢ ط ١ مصر ج.

فصل:

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِـالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُـهُ﴾ (١) ففيه وجهان غير ما ذكره أبو جعفر وعوّل فيه على حديث شاذّ:

أحدهما: أنّ الله تعالى نهاه عن التّسرّع إلى تأويل القرآن قبل الوحي إليه به، وإن كان في الإمكان من جهة اللّغة ما قالوه على مذهب أهل اللّسان (٢).

والوجه الآخر: أنّ جبرئيل ـ عليه السّلام ـ كان يـوحي إليه بالقرآن فيتلـوه معه

(١) طه: ١١٤.

قال العلاّمة الشهرستاني عند جوابه عن سؤال رفعناه إلى معاليـه شعبان سنة ١٣٥٤ هـ، ما نصّه: «الصواب في تفسيرهـا (أي تفسير الآية ١١٤ من سـورة طه) هـو الوجـه الثالث ممّـا ذكره المحقّق الطبرسي * في (مجمع البيـان) وذلك انّ النبي ﷺ كان يتـوقّع نزول الوحي عليه يـومياً وحول كل حـادثة تأميناً لقلوب المؤمنين ومـزيداً لعلمـه فأوحى إليه سبحـانه بهذه الآيـة قائلاً: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ يعني انّ الله في مقام ملوكيتـه و حقّانيته يتعالى شأنـه عن خلف الوعد وعن خلاف الحق فينبغي أن تستقر قلوب المؤمنين به فلا مـوجب باستعجالك بنزول القرآن قبل أن يتحتّم من الله ايحاؤه كما لا مـوجب لا ستـزادة علمك بنـزول الآيـات فقـط بل يمكن ذلك بدعائك وطلب مزيد العلم من ربّك، وعليه فالتعجيل بالقرآن هو الالحاح بنزوله ومعنى (يقضى إليك) تحتم نزوله إليه حسب ما يراه الله من المصلحة». ا هـ، وأُنظر ملحق (أمالي السيد المرتضى ـ ص ٣٩٥ ط طهران ١٢٧٢ هـ). ج.

(٢) أُنظر كتاب أوائل المقالات ص ٥٥ ج.

* ومما هو جدير بالتسطير: انّ طبرس المنسوب إليه الامام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ من أكابر علماء الامـامية وجهابذتهم في القرن السادس للهجرة ـ بسكـون الباء الموحدة معرب (تفرش) من تـوابع قم، وليس مفتوح الباء منسـوباً إلى طبرستان كما هو المشهـور، يظهر ذلك من الفصل الذي عقده أبو الحسن علي بن زيد البيهقي الشهير بـابن فندق المتوفّى سنة ٥٦٥ هـ في (تاريخ بيهق ـ ص ٢٤٢ ط طهران) لترجمته، وإن شئت مزيـد التوضيح والتبيين فعليك ⇐

حرفاً بحرف، فأمره الله تعالى أن لا يفعل ذلك ويُصغي إلى ما يأتيه به جبرئيل، أو يُنزلـه الله تعالى عليه بغير واسطة حتّى يحصل الفـراغ منه، فإذا تمّ الوحي بـه تلاه ونطق به وقرأه.

فأمّا ما ذكره المعـوّل على الحديث من التّأويل فبعيد، لأنّه لا وجه لنهي الله

⇐ بالرجوع إلى المقالة التي دبجها يراعة العلاّمة أحمد (بهمنيار *) أُستاذ جامعة طهران، وأدرجها في ذيل التاريخ المذكور (ص ٣٤٧ ـ ٣٥٣) فراجعها واغتنم وكن من الشاكرين.

وقال العـلاّمة العـاملي في (أعيان الشيعة ــ ص ٩٧ ـ ٩٨ ج ٩) في تـرجمة الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي صاحب الاحتجاج: والأكثـر أن يقال في النسبة إلى طبرستان طبري وفي النسبة إلى طبرية فلسطين طبراني على غير قياس للفرق بينهما كما قالوا: صنعاني وبهراني وبحراني في النسبـة إلى صنعاء وبهراء والبحـرين، و ما يقـال إنّه لم يسمع في النسبـة إلى طبرستان طبري غير صحيح بل هو الأكثـر ولو قيل أنّـه لم يسمع في النسبة إليها طبرسي لكـان وجهاً لما في الريـاض عن صاحب تـاريخ قم المعاصر لابن العميـد من أنّ طبرس ناحيـة معروفـة حوالي قم مشتملة على قـرى ومزارع كثيرة، وانّ هـذا الطبرسي وسائر العلماء المعـروفين بالطبرسي منسـوبون إليها، ويستشهـد له بما عن الشهيد الثاني في حـواشي ارشاد العلامة من نسبـة بعض الأقوال إلى الشيخ علي بن حمزة الطبرسي القمي والله أعلم... في ريـاض العلماء انّ هذا الطبرسي المترجم غير صاحب مجمع البيان لكنـه معاصر له وهما شيخا ابن شهر آشـوب وأستاذاه قال: وظنّي أنّ بينهما قـرابـة وكـذا بينهما وبين الشيخ حسن بن علي بن محمـد بـن علي بن الحسن الطبرسي المعـاصر للخواجة نصير الـدين الطوسي». وقد اختار هذا الـرأى السديد صديقنا العلاّمـة السعيد محمد علي القاضي الطباطبائي التبريـزي مدّ ظله ـ نزيل النجف الأشرف ـ فجاد يراعـه الطاهر بمقال باهر حول كلمتي (طبرس ـ طبرسي) ونشر ذلك المقال القيم في مجلة (العرفان ـ ص ٣٧١ ـ ٣٧٥ ج٣ مج ٣٩ ط صيدا ــ لبنان) تلك المجلة الـراقية التي خـدمت العلم والأدب عشرات الأعوام فاقيـم لها مهرجان ذهبي في مـدينة صيـدا الجميلة هـذا العام، ومـؤسسها ومنشئهـا هو العـلامة الأُستاذ صديقنا الشيخ أحمد عارف الزين ذلك الرجل المجاهد الذي طالما خدم الدين الاسلامي والمذهب الامامي بيراعه الطاهر وقلمه القوي السيال. حفظه الله علماً للعلم والدين ج.

* اقرأ وجيـزاً من ترجمته في كتـابي (سخنوران إيران در عصر حاضر ص ١٦٥ ج ٢ ط هنـد) و (نثر فارسي معاصر ـ ص ٩٧ ط طهران). ج.

تعالى له عن العجلة بالقرآن الّذي هو في السّماء الرّابعة حتّى يقضى إليه وحيه، لأنّه لم يكن محيطاً علماً بما في السّماء الرّابعة قبل الوحي به إليه، فلا معنى لنهيه عمّا ليس في إمكانه. اللّهمّ إلاّ أن يقول قائل ذلك انّه كان محيطاً علماً بالقرآن المودع في السّماء الرّابعة، فينتقض كلامه ومذهبه، لأنّه كان في السّماء الرّابعة لأنّ ما في صدر رسول الله ﷺ وحفظه في الأرض فلا معنى لاختصاصه بالسّماء، ولو كان ما في حفظ رسول الله ﷺ يوصف بأنّه في السّماء الرّابعة خاصّة لكان ما في حفظ غيره موصوفاً بذلك، ولا وجه يكون حينئذ لإضافته إلى السّماء الرّابعة، ولا إلى السّماء الأُولى فضلاً عن السّماء الرّابعة ! ومن تأمّل ما ذكرناه علم أنّ تأويل الآية على ما ذكره المتعلّق بالحديث بعيد عن[1] الصّواب[2].

---

(١) «ح» «ق»: من.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٣.

فصل: في العصمة

قال أبو جعفر ـ رحمه الله ـ: باب الاعتقاد في العصمة [١].

قال الشّيخ المفيـد ـ رحمه الله ـ [٢]: العصمة من الله تعـالى لحججه [٣] هي التّوفيق واللّطف والاعتصام من الحجج بها عن الذّنوب والغلط في دين الله تعالى، والعصمة [تفضل من الله] [٤] تعالى على من علم أنّه يتمسّك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمـة مانعة مـن القدرة [٥] على القبيح، ولا مضطـرّة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة له إليه، بل هي الشّـيء الّذي يعلم الله تعالى أنّه إذا فعله بعبـدٍ من عبيده لم يؤثـر معه معصيته لـه، وليس كلّ الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصّفوة والأخيار.

---

(١) الاعتقادات ص ٩٦.

(٢) بحار الأنوار ١٧: ٩٦.

(٣) قال المصنـف قده في رسـالة (النكت الاعتقـادية ــ ص ٤٥ـ ٤٦ ط ٢ بغداد) فـان قيل مـا حد العصمـة. والجواب ـ العصمـة لطف يفعله الله بـالمكلف بحيث يمنع منه وقـوع المعصية وتـرك الطاعة مع قدرته عليهما. فان قيل مـا الدليل على أنّه معصوم من أول عمره إلى آخره. والجواب ـ الدليل على ذلك أنّه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الـوثوق منه عند اخباراته ولو عهد منه خطيئة * لتنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة . ج.

(٤) «ز» من تفضّل الله.

(٥) «ز»: المقدرة.

---

* أمّا بعض الآيـات وشواذ الأخبـار المتضمّنة نسبـة الخطايا والمعـاصي إلى الأنبياء أو إلى نبيّنـا عليه وعليهم السـلام فقـد أجـاب عنهـا تلميـذ المصنف أعني الشريف المرتضى في كتـاب (تنـزيـه الأنبياء ـ ط إيران ونجف) . هبة الدين الحسيني.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [(١)] الآية، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [(٢)] وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [(٣)].

والأنبياء والأئمّة ـ عليهم السّلام ـ [(٤)] من بعدهم معصومون في حال نبوّتهم وإمامتهم من الكبائر كلّها والصّغائر، والعقل يجوّز عليهم ترك مندوب إليه على غير التّعمّد للتّقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مفترض إلاّ أنّ نبيّنا ﷺ والأئمّة ـ عليهم السّلام ـ من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب، والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها.

فصل [(٥)]:

فأمّا الوصف لهم بالكمال في كلّ أحوالهم، فإنّ المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم الّتي كانوا فيها حججاً لله تعالى على خلقه.

---

(١) الأنبياء: ١٠١.

(٢) الدّخان: ٣٢.

(٣) صٓ ٤٧.

(٤) قال المصنف قده في رسالة (النكت الاعتقادية ـ ص ٤٨ ـ ٤٩ ط ٢) : فان قيل ما الدليل على أنّ الامام يجب أن يكون معصوماً. والجواب ـ الدليل على ذلك من وجوه:

الأوّل: انّه لو جاز عليه الخطاء لافتقر إلى امام آخر يسدّده ثم ننقل الكلام إليه ويتسلسل أو يثبت المطلوب.

الثاني: انّه لو جاز عليه فعل الخطيئة (فان) وجب الانكار عليه سقط محلّه من القلوب فلا يتبع، والغرض من نصبه اتباعه (فينتقض الغرض) وإن لم يجب الانكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل.

الثالث: انّه حافظ للشرع فلو لم يكن معصوماً لم تؤمن منه الزيادة والنقصان. ج.

(٥) قال المؤلّف ـ قدّس سرّه ـ في جواب المسألة السّادسة والثّلاثين من المسائل العكبريّة: إنّ الطّاعة في وقت رسول الله ﷺ كانت له من جهة الإمامة دون غيره، والأمر له خاصّة دون من سواه، ⇐

وقد جاء الخبر بأنّ رسول الله ﷺ والأئمّة -عليهم السّلام- من ذرّيّته كانوا حججاً لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، ولم يكن لهم قبل أحوال التّكليف أحوال نقص وجهل، فإنّهم يجرون مجرى عيسى ويحيى -عليهما السّلام- في حصول الكمال لهم مع صغر السّنّ وقبل بلوغ الحلم. وهذا أمر تجوّزه العقول ولا تنكره، وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل، والوجه أن نقطع على كمالهم -عليهم السّلام- في العلم والعصمة في أحوال النّبوّة والإمامة، ونتوقف فيما قبل ذلك، وهل كانت أحوال نبوّة و إمامة أم لا؟ (١) ونقطع على أنّ العصمة لازمة لهم منذ أكمل الله تعالى عقولهم إلى أن قبضهم -عليهم السّلام- (٢).

⇐ فلمّا قُبض ﷺ صارت الإمامة من بعده لأمير المؤمنين -عليه السّلام- ومن عداه من النّاس كافّة رعيّة له، فلمّا قُبض -عليه السّلام- صارت الإمامة للحسن بن عليّ ، والحسين -عليه السّلام- إذ ذاك رعيّة لأخيه الحسن -عليه السّلام- ، فلمّا قُبض الحسن -عليه السّلام- صار الحسين إماماً مفترض الطّاعة على الأمام. وهكذا حكم كلّ إمام وخليفة في زمانه، ولم تشترك الجماعة في الإمامة معاً، وكانوا فيها على التّرتيب الّذي ذكرناه.

فصل:

وقد ذهب قوم من أصحابنا الإماميّة إلى أنّ الإمامة كانت لرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين -عليهم السّلام- في وقت واحد، إلاّ أنّ النطق والأمر والتّدبير كان للنّبيّ ﷺ مدّة حياته دونهم، وكذلك كان الأمر والتّدبير لأمير المؤمنين دون الحسن والحسين، وجعل الإمام في وقت صاحبه صامتاً وجعل الأوّل ناطقاً. وهذا خلاف في العبارة، والأصل ما قدّمناه. ج

(١) في هذه العبارة تأمّل عن غموض، ويحتمل أن يكون عطفاً على (فيما قبل ذلك) فيكون المراد التّوقّف في أمرين:

الأوّل: الحكم بكمال العلم والعصمة قبل البعثة وتصدّي الإمامة.

والثّاني: الحكم بفعليّة الاتّصاف بالنّبوّة والإمامة قبل ذلك، ويحتمل أيضاً أن تكون الواو زائدة أو مستأنفة وكان تعليلاً للحكم بالتّوقّف في كمال العلم والعصمة، وحاصل المعنى يلزم أن نتوقّف في الحكم بكمالهم في العلم والعصمة قبل البعثة وتصدّي الإمامة بعلّة الشّكّ في اتّصافهم بالنّبوّة والإمامة قبل ذلك. ج

(٢) بحار الأنوار ٦٧: ٩٧.

فصل: في الغلوّ والتّفويض

قال أبو جعفر: باب الاعتقاد في الغلوّ والتّفويض ... إلى آخره [1].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله [2]: الغلوّ في اللّغة هو [التّجاوز عن الحدّ][3] والخروج عن القصد.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغلُوا فِـي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاَّ الحَقَّ﴾[4] الآية، فنهى عن تجاوز الحدّ في المسيح، وحذّر من الخروج عن القصد في القول، وجعل ما ادّعته النّصارى فيه غلوّاً لتعدّيه الحدّ على ما بيّنّاه.

والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الّذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّته ـ عليهم السّلام ـ إلى الأُلوهيّة والنّبوّة، ووصفوهم من الفضل في الدّين والدّنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ، وخرجوا عن القصد، وهم ضلاّل كفّار، حكم فيهم أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بالقتل والتّحريق بالنّار، وقضت الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام [5].

فصل:

فأمّا ما ذكره أبو جعفر ـ رحمه الله ـ من مضيّ نبيّنا والأئمّة ـ عليهم السّلام ـ بالسّمّ والقتل، فمنه ما ثبت، ومنه ما لم يثبت، والمقطوع به أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين ـ عليهم السّلام ـ خرجوا من الدّنيا بالقتل ولم يمت أحدهم [6] حتف أنفه [7]،

---

(١) الاعتقادات ص ٩٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٤.

(٣) «أ» «ح» «ز» «ش» «ق»: تجاوز الحدّ.

(٤) النّساء: ٧١.

(٥) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٦) «ق» «ز»: أحد منهم.

(٧) بحار الأنوار ٢٧: ٢١٦.

وممّن مضى بعدهم مسموماً موسى بن جعفر -عليه السّلام- ويقوى في النّفس أمر الرّضا -عليه السّلام- [١] وإن كان فيه شكّ، فلا طريق إلى الحكم فيمن عداهم بأنّهم سُمّوا أو اغتيلوا أو قتلوا صبراً، فالخبر بذلك يجري مجرى الإرجاف [٢]، وليس إلى تيقّنه سبيل [٣][٤].

---

(١) أُنظر «كشف الغمّة ص ٢٦٤ ط إيران ١٢٩٤ هـ» لبهاء الدّين عليّ بن عيسى الاربلي المتوفّى سنة ٦٩٢ أو ٦٩٣، وإلى «البحار ص ٩١ - ٩٢ ج ١٢ ط كمباني».

قال المحدّث الفقيه الربّاني الشّيخ يوسف البحرانيّ (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ) في كتابه «الحدائق النّاضرة ص ٤٤٩ مجلّد كتاب الحجّ ط تبريز»: الإمام أبو الحسن عليّ بن موسى الرّضا -عليه السّلام- ... وقُبض بطوس في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين سنة ... وبعض الأخبار يدلّ على أنّه قبض مسموماً سمّه المأمون العبّاسيّ. وإليه ذهب الصّدوق - رحمه الله - وأكثر أصحابنا لم يذكروه.

أُنظر كتاب «أعيان الشّيعة ص ٢٠٥ - ٢١١ ج ٤ ق ٢ ط ١ دمشق» للعلاّمة السيّد محسن العامليّ - رحمه الله .

والعدد السّابع من مجلّة «مهر - الفارسيّة - ص ٧٤٠ ط طهران ١٣١٣ ش هـ» لسنتها الثّانية، وإلى ذيل كتاب «تاريخ مختصر إيران ص ٢٠ - ٢٤ ط طهران ١٣١٤ ش». بقلم العلامة الدكتور صادق رضا زاده شفق استاذ جامعة طهران *.

* اقرأ مختصراً من ترجمته في كتابي (سخنوران إيران در عصر حاضر ج٢ ط هند) و (نثر فارسي معاصر - ١٣٨ ط طهران).

(٢) أرجف: خاض في الأخبار السيّئة والفتن قصد أن يهيّج النّاس.

أُنظر «مجمع البحرين - رجف» أيضاً. ج

(٣) بحار الأنوار ٢٧: ٢١٦.

(٤) قال الشّيخ المفيد - رحمه الله - في كتاب «الأنساب والزّيارات» من تأليفه النّفيس «المقنعة ص ٧٢ - ٧٥ ط ١٢٧٤ هـ»:

وقبض (رسول الله ﷺ) مسموماً لليلتين بقيتا من صفر سنة عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستّين سنة.

وقبض (أمير المؤمنين -عليه السّلام-) قتيلاً بالكوفة ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ⇐

والمفوّضة صنف من الغلاة، وقولهم الّذي فارقوا [(١)] به من سواهم من

⇐ رمضان سنة أربعين للهجرة وله يومئذ ثلاث وستّون سنة.

وقبض (الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ) مسموماً بالمدينة في صفر سنة تسع وأربعين من الهجرة، فكان سنّه ـ عليه السّلام ـ يومئذ سبعاً واربعين سنة.

وقبض (الحسين بن عليّ ـ عليه السّلام ـ) قتيلاً بطفّ كربلا من أرض العراق يوم الاثنين العاشر من المحرّم قبل زوال الشّمس سنة إحدى وستّين من الهجرة، وله يومئذ ثماني وخمسون سنة.

وقبض (عليّ بن الحسين ـ عليه السّلام ـ) بالمدينة سنة خمس وتسعين وله يومئذ سبع وخمسون سنة.

وفي «التّهذيب ص ٢٧ ج ٢ ط إيران»:

وقبض (محمّد بن عليّ ـ عليه السّلام ـ) بالمدينة سنة أربع عشرة ومائة، وكان سنّه يومئذ سبعاً وخمسين سنة.

وقبض (جعفر بن محمّد الصّادق ـ عليه السّلام ـ) بالمدينة في شوّال سنة ثمانية وأربعين ومائة، وله يومئذ خمس وستّون سنة.

وقبض (موسى بن جعفر ـ عليه السّلام ـ) قتيلاً بالسمّ ببغداد في حبس السّنديّ بن شاهك لستٍ بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وكان سنه يومئذ خمساً وخمسين سنة.

وقبض (عليّ بن موسى الرضا ـ عليه السّلام ـ) بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاث ومائتين، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة.

وقبض (محمّد بن عليّ ـ عليه السّلام ـ) ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين، وله يومئذ خمس وعشرون سنة.

وقبض (عليّ بن محمّد ـ عليه السّلام ـ) بسرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وسبعة أشهر.

وقبض (الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ) بسرّ من رأى لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين، وكان سنّه يومئذ ثمانياً وعشرين سنة. انتهى ملخّصاً.

هذا وقد قال المصنّف ـ رحمه الله ـ في كتابه «الإرشاد» في هذا الموضوع ـ أعني كيفيّة وفاة الأئمّة الطّاهرين ومدّة أعمارهم ـ بمثل ما قاله في كتابه «المقنعة» عيناً بدون تفاوت قيد شعرة معنىً، فتدبّر جيّداً. چ

(١) «ق»: خالفوا.

الغـلاة اعترافهم بحـدوث الأئمّـة وخلقهم ونفي القـدم عنهم وإضـافـة الخلق والرّزق مع ذلك إليهم(١)، ودعواهم أنّ الله سبحانه وتعـالى تفّرد بخلقهم خاصّة، وأنّه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال.

والحلاّجيّة ضرب من أصحـاب التّصوّف، وهم أصحاب الإباحـة والقول بالحلول، ولم يكن (٢) الحلاّج (٣) يتخصّص بإظهار التّشيع وإن كـان ظاهـر أمره التّصوّف، وهم قوم ملحدة وزنـادقة يموّهون بمظاهرة كلّ فرقـة بدينهم، ويدّعون للحـلاّج الأبـاطيل، ويجرون في ذلك مجرى المجـوس (٤) في دعـواهم لـزرادشت

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٢) في المطبوعة: وكان.

(٣) أنظر «الفهرست ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ط مصر» لابن النّديم. ج

(٤) قال العلاّمة الكبير و الأُستاذ الشّهير صاحب الفخامـة مولانا أبو الكلام آزاد وزير معارف الهند المعظّم في مجلّـة «ثقـافة الهنـد ص ١٣ ، سبتمبر ١٩٥٠م » الجليلـة طيّ مقـالته الممتعـة حـول (شخصيـة ذي القرنين المذكـورة في القـرآن) ــ الّتي حـرّرت بغايـة التّحقيق، وينبغي بل يلـزم لأصحاب النّظـر والعلم أن يرجعوا إليـه ـ ما نصّـه: وهنا ينبغي أن ننبّه على خطأ شـائع: نطقوا كلمة «مـوغوش» في اللّغة العـربيّة «مجوساً» وأطلقـوها على أتباع الـدّين الزّردشتّي، ولم يكن في الأصل اسماً لهم، فقد ثبت الآن بلا ريب أنّه كان اسماً يعرف به أتباع الدّين الّذي كان شائعاً في مادا قبل زردشت، فقد وردت الكلمة في أوستـا كذلك، واستعملت في شأن معارضي زردشت، ولكن لمّا كان اشتهـر أهل مادا في بـلاد العرب والشّام بـاسم موغوش، أخـذوا يسمّون بـه أتباع زردشت كذلك.

وقـال أيضـاً في ص ١١ مـن المجلّـة: النّطق الصّحيح لاسم زردشت في اللّغـة البهلـويّـة «زاراتهسترا» ... إلى آخر مقاله القيّم.

أُنظـر «البحـار ص ٣٧٩ ج ٥ ط كمبـاني» و «أعيـان الشّيعـة ص ١٥٠ ــ ١٥١ ج٢ ط٢ دمشق». ج

المعجزات، ومجرى النّصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات والبيّنات [١]، والمجوس والنّصارى أقـرب إلى العمل بالعبادات منهـم، وهم أبعد من الشّرائع والعمل بها من النّصارى والمجوس.

فصل:

فأمّا نصّ أبي جعفـر ـ رحمه الله ـ [٢] بالغلوّ على من نسب مشايخ القمّيّين وعلمائهم إلى التّقصير، فليس نسبـة هـؤلاء القـوم إلى التّقصير عـلامـة على غلـوّ النّاس؛ إذ في جملـة المشار إليهم بالشّيخوخـة والعلم من كان مقصّراً، وإنّما يجب الحكم بالغلوّ على من نسب المحقّين إلى التّقصير، سـواء كانوا من أهل قم أم [٣] غيرها من البلاد وسائر النّاس.

وقد سمعنا حكاية ظاهـرة عن أبي جعفر محمّد بن الحسن بن الوليد ـ رحمه الله ـ لم نجد لها دافعاً في التّقصير، وهي ما حكي عنـه أنّه قال: أوّل درجة في الغلوّ نفي السّهو عن النّبيّ ﷺ والإمام [٤] ـ عليه السّلام ـ فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّـر، مع أنّه من علماء القمّيّين ومشيختهم.

وقد وجدنا جماعة وردوا [٥] إلينا من قم يقصّرون تقصيراً ظـاهراً في الدّين،

---

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٣) «ز» : أو من، «ح»: أو.

(٤) أُنظـر ذيل كتـاب «أوائل المقـالات طبع ١٣٧١ ــ ص٣٦» و «مجمع البيـان ــ ص ٣١٧ ج٢ ط صيدا» للشيخ الطبرسي. وكتاب «الوافي ـ ص١٤٣ ج ٥ ط ١٣٦٤هـ» للمحدث القاشاني. ج.

(٥) «ح»: وردت.

وينزلون الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ عن مراتبهم، ويزعمون أنّهم كـانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدّينية [١] حتّى ينكت [٢] في قلوبهم، ورأينا من يقول إنّهم كانوا يلتجئون في حكم الشّـريعة إلى الرّأي والظّنون [٣]، ويدّعون مع ذلك أنّهم من العلماء. وهذا هو التّقصير الّذي لا شُبهة فيه.

ويكفي في علامة الغلوّ نفي القائل به عن الأئمّة سمات الحدوث وحكمه لهم بالإلهيّة والقدم؛ [إذ قالوا بما] [٤] يقتضي ذلك من خلق أعيان الأجسام واختراع الجواهـر وما ليس بمقـدور العبـاد من الأعراض، ولا يحتـاج مع ذلك إلى الحكم عليهم وتحقيق أمرهم بما جعله أبو جعفر سمة للغلوّ [٥] على كلّ حال [٦].

---

(١) «ق»: الشّرعيّة.

(٢) و في حديث وصف أهل البيت ع من جملة علـومهم نكت في القلوب و... أمّا النكت في القلوب بالهام... «مجمع البحرين ـ نكت». ج.

(٣) «ق»: والفتوى.

(٤) «ق» «أ»: أو، «ح» «ز»: إذا ما.

(٥) في بقيّة النّسخ: في الغلوّ.

(٦) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٦.

فصل: في التّقيّة

قال أبو جعفر : باب التّقيّة ... إلى آخره[1].

قال الشّيخ المفيد: التّقيّة: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهـرتهم بما يعقب ضرراً في الدّين أو[2] الدّنيا[3]، وفرض ذلك إذا علم بـالضّرورة أو قوي في الظّنّ، فمتى لم يعلـم ضرراً بإظهار الحقّ ولا قـوي في الظّنّ ذلك لم يجب فرض التّقيّة.

وقد أمر الصّادقون ـ عليهم السّلام ـ جماعة من أشيـاعهم بالكفّ[4] والإمساك عن إظهار الحقّ، والمبـاطنة والسّتر لـه عن أعداء الـدّين، والمظاهـرة لهم بما يُزيل الرّيب عنهم[5] في خلافهم. وكان ذلك هو الأصلح لهم، وأمـروا طائفة أُخرى من شيعتهم بمكـالمة الخصوم ومظـاهـرتهم ودعائهم إلى الحقّ، لعلمهم بأنّـه لا ضرر عليهم في ذلك، فالتّقيّة تجب بحسب ما ذكرناه، ويسقط فرضها في مواضع أُخرى ـ على ما قـدّمناه ـ وأبو جعفـر أجمل القول في هذا[6] ولم يفصّله ـ على مـا بيّناه ـ وقضى بما أطلقـه فيه من غير تقيّـة على نفسـه لتضييع الغرض في التّقيّـة، وحكم

---

(١) الاعتقادات ص ١٠٧.

(٢) في بقيّة النّسخ: و.

(٣) أُنظر «أوائل المقالات ـ ص ٩٦». ج.

(٤) «ق»: بالكتم.

(٥) «ح» «ش»: منهم.

(٦) في المطبوعة: ذلك.

بترك الـواجب في معنـاها؛ إذ قـد كشف نفسـه فيما اعتقده مـن الحقّ بمجالسـه المشهورة، ومقـاماته الّتي كـانت معروفـة، وتصنيفاته الّتي سـارت في الآفاق، ولم يشعر [بمناقضته بين أقواله وأفعالـه، ولو وضع القول في التّقيّة موضعه، وقيّد من لفظه فيه ما أطلقه لسلم من المناقضة، وتبيّـن للمسترشدين حقيقة الأمر فيها، ولم يـرتج عليهم بـابها، ويشكل بما ورد فيها معنـاهـا، لكنه على مـذهب أصحـاب الحديث في العمل على ظواهـر الألفاظ، والعدول عن طريق الاعتبـار. وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار.

في أنّ آباء النّبيّ ﷺ كانوا موحّدين

قال أبو جعفر في آباء النّبيّ ﷺ: اعتقادنا فيهم أنّهم مسلمون [1][2].

قال الشّيخ المفيد: آباء النّبيّ ﷺ إلى آدم -عليه السّلام- كانوا موحّدين على الإيمان بالله؛ حسب ما ذكره أبو جعفر ـ رحمه الله ـ وعليه إجماع عصابة الحقّ.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [3] يُريد به: تنقّله في أصلاب الموحّدين.

وقال نبيّه ﷺ: «ما زلتُ أتنقّل من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام المطهّرات، حتّى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا» فدلّ على أنّ آباءه كلّهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر لما استحقّ الوصف بالطّهارة، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [4] فحكم على الكفّار بالنّجاسة، فلمّا قضى رسول الله ﷺ بطهارة آبائه كلّهم ووصفهم بذلك، دلّ على أنّهم كانوا مؤمنين.

---

(١) الاعتقادات ص١١٠.

(٢) عنه في البحار ١٥ :١٧.

(٣) الشّعراء: ٢١٨ـ٢١٩.

(٤) التّوبة: ٢٨.

في تفسير آية: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ الآية

قال أبو جعفر ـ رحمه الله ـ: إنّ الله تعالى جعل أجر نبيّه ﷺ على أداء الرّسالة وإرشاد البريّة مودّة أهل بيته ـ عليهم السّلام ـ واستشهد على هذا بقوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِـي الْقُرْبَى﴾ (١)(٢)(٣).

قال الشّيخ ـ رحمه الله ـ: لا يصح القول بأنّ الله تعالى جعل أجـر نبيّه مودّة أهل بيته ـ عليهم السّلام ـ ولا أنّه جعل ذلك من أجره ـ عليه السّلام ـ لأنّ أجر النّبيّ ﷺ في التّقـرّب إلى الله تعالى هـو الثّواب الدّائم، وهـو مستحقّ على الله تعـالى في عدلـه وجـوده وكرمـه، وليس المستحقّ على الأعمال يتعلّق بـالعبـاد، لأنّ العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً، وما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره.

هذا مع أنّ الله تعالى يقول (٤): ﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ

---

(١) الاعتقادات ص ١١١.

(٢) الشّورى: ٢٣.

(٣) أُنظر «مجمع البيان ـ ص ٢٨ ـ ٢٩ ج ٥ ط صيدا» وإلى تفسير آية: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ في المجمع ـ ص ٣٩٦ ج ٤ ط صيدا، للشيخ الطبرسي ـ ره ـ ج.

(٤) و قال الله تعالى في سورة الشعراء: (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠): ﴿و ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلاّ على ربّ العالمين﴾ ج.

عَلَى اللهِ﴾ [١] وفي موضع آخر: ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [٢] فلو كان الأجر على ما ظنّه أبو جعفر في معنى الآية لتناقض القرآن، وذلك أنّه كان تقدير الآية: قل لا أسألكم عليه أجراً، بل أسألكم عليه أجراً، ويكون أيضاً: إن أجري إلاّ على الله، بل أجري على الله وعلى غيره. وهذا محال لا يصحّ حمل القرآن عليه.

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أو ليس هذا يفيد أنّه قد سألهم مودّة القربى لأجره على الأداء؟ قيل له: ليس الأمر على ما ظننت ـ لما قدمناه من حجّة العقل والقرآن ـ والاستثناء في هذا المكان ليس هو من الجملة، لكنّه استثناء منقطع، ومعناه: قل لا أسألكم عليه أجراً، لكن ألزمكم المودّة في القربى وأسألكموها، فيكون قوله: قل لا أسألكم عليه أجراً، كلاماً تامّاً قد استوفى معناه، ويكون قوله: إلاّ المودّة في القربى، كلاماً مبتدأ، فائدته: لكن المودّة في القربى سألتكموها، وهذا كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [٣] والمعنى فيه: لكن إبليس، وليس باستثناء من جملة [٤]، وكقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥][٦] معناه: لكن ربّ العالمين ليس بعدوّ لي؛ قال الشاعر:

---

(١) هود: ٢٩.

(٢) هود: ٥١.

(٣) الحجر: ٣٠ـ٣١.

(٤) أنظر (أوائل المقالات طبع ١٣٧١ ـ ص ١١٠).ج.

(٥) الشّعراء: ٧٧.

(٦) أنظر (مجمع البيان ـ ص ١٩٣ ج ٤ ط صيدا).ج.

وبلـــدة ليـــس بها أنيـــسُ   إلاّ اليعـــافـــير وإلاّ العـيـــسُ [١]

وكـان المعنى في قـولـه: وبلـدة ليس بها أنيس، على تمام الكـلام واستيفـاء معناه، وقوله: إلاّ اليعافير، كلام مبتدأ معناه: لكن اليعافير والعيس فيها، وهذا بيّن لا يخفى الكـلام فيه على أحد ممّـن عرف طرفـاً من اللّسـان، والأمر فيه عنـد أهل اللّغة أشهر من أن يحتاج معه إلى استشهاد.

---

(١) اليعفور: الغـزال ـ العيس: الابل البيض يخالط بيـاضها سواد خفيف. الـواحد عيس والـواحدة عيساء. ج.

في الحظر والإباحة

قال أبو جعفر في الحظر والإباحة: الأشياء كلّها مطلقة ... إلخ [1].

قال الشّيخ المفيد: الأشياء في أحكام العقول على ضربين:

أحدهما: معلوم حظره بالعقل؛ وهو ما قبّحه العقل وزجر عنه وبعّد منه كالظّلم والسّفه والعبث.

والضّرب الآخر: موقوف في العقل لا يقضي على حظر ولا إباحة إلاّ بالسّمع، وهو ما جاز أن يكون للخلق بفعله مفسدة تارة ومصلحة أُخرى، وهذا الضرب مختصّ بالعادات من الشرائع الّتي يتطرّق إليها النّسخ والتّبديل، فأمّا بعد استقرار الشّرائع؛ فالحكم أنّ كل شيء لا نصّ في حظره فإنّه على الإطلاق، لأنّ الشّرائع ثبتت الحدود وميّزت المحظور على حظره، فوجب أن يكون ما عداه بخلاف حكمه] [2].

(١) الاعتقادات ص ١١٤.

(٢) ما تقدّم بين المعقوفتين ساقط من جميع النّسخ سوى المطبوعة.

في الطّبّ

قال أبو جعفر: اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطّبّ [1].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ [2]: الطّبّ صحيح، والعلم به ثابت، وطريقه الوحي، وإنّما أخذه العلماء به عن الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ وذلك أنّه لا طريق إلى علم حقيقة الـدّاء إلاّ بالسّمع، ولا سبيل إلى معرفة الدّواء إلاّ بـالتّوقيف [3]، فثبت أنّ طريق ذلك هو السّمع عن العالم بالخفيّات تعالى.

والأخبار الواردة عن الصّادقين ـ عليهم السّلام ـ مفسّرة بقـول أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ : «المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس الدّواء» و « عـوّد كلّ بدن ما اعتاد» [4] وقـد ينجع في بعض أهل البـلادمن الـدّواء من مـرض يعـرض لهم مـا يهلك من استعمله لـذلك المرض من غير أهل تلك البلاد، ويصلح لقوم ذوي عـادة ما لا يصلح لمن خالفهم في العادة.

وكان الصّادقون ـ عليهم السّلام ـ يأمرون بعض أصحاب الأمراض باستعمال ما يضرّ بمن كان به [5] المرض فلا يضرّهم، وذلك لعلمهم ـ عليهم السّلام ـ بانقطاع سبب

---

(١) الاعتقادات ص ١١٥.

(٢) بحار الأنوار ٥٩:٧٥.

(٣) «ق»: التّوقيف.

(٤) «ز»: اعتاده.

(٥) «ز»: فيه هذا.

المرض، فإذا استعمل الإنسان ما يستعمله كان مستعملاً له مع الصّحّة من حيث لا يشعر بذلك، وكان علمهم بـذلك من قبل الله تعالى على سبيل المعجز [1] لهم والبرهان لتخصيصهم بـه وخرق العادة بمعنـاه، فظنّ قوم أنّ ذلك الاستعمال إذا حصل مع مـادّة المرض نفع فغلطـوا فيـه واستضرّوا به. وهـذا قسم لم يـورده أبـو جعفر، وهو معتمد [2] في هذا البـاب، والوجوه الّتي ذكـرها من بعـد فهي على ما ذكره، والأحاديث محتملة لما وصفه حسب ما ذكرناه [3].

---

(١) في المطبوعة: المعجزة.

(٢) «ز»: المعتمد.

(٣) بحار الأنوار ٥٩: ٧٦.

فصل: في الأحاديث المختلفة (*)

قال أبو جعفر: في الحديثين المختلفين ... إلى آخره [١].

قال الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: لم يوضّح أبـو جعفر ـ رحمه الله ـ عن الطّريق الّتي تـوصل إلى علم مـا يجب العمل عليـه ممّـا لا يجب، بل أجمل القـول في ذلك إجمالاً مع صدق الحاجة إلى التّفصيل والتّفرقة بين مـا يلزم ممّـا لا يلزم بما يتميّز به كل واحد منهما ويعـرف بذلك حقّ الحديث من بـاطله. والّـذي أثبته أبـو جعفر ـ رحمه الله ـ من مجمل القول فيه لم يجد نفعاً.

وقد تكلّمنـا على اختلاف الأحـاديث وبيّنّـا فرق مـا بين صحيحها [٢] من سقيمها [٣]، وحقّها من باطلها، وما عليه العمل منها ممّـا لا يُعمل عليه، وما تتّفق معـانيه مع اختـلاف ألفاظـه، وما خـرج مخرج التّقيّة في الفُتيـا، وما الظّـاهر منـه كالباطن في مواضع من كتبنا وأمالينا [٤]، وبيّنّا ذلك بياناً يرفع [٥] الإشكال فيه لمن تأمّل [٦]؛ والمنّة لله تعالى، فمن أراد معـرفة هذا الباب فليرجع إلى كتابنـا المعروف بـ

---

* وقد أشار المصنف إلى هذا الباب عند جوابه عن المسألة الثامنة من المسائل السروية إشارة اجمالية. وانظر جواب المسألة التاسعة منها أيضاً. ج.

(١) الاعتقادات ص ١١٧.

(٢) «أ» «ح» «ش»: صحّتها.

(٣) «أ» «ح» «ش»: سقمها.

(٤) «ق»: ورسائلنا.

(٥) في المطبوعة: يرتفع.

(٦) «ح»: تأمّله.

«التّمهيد» وإلى كتاب «مصـابيح النّور» وأجوبة مسـائل أصحابنا من [١] الآفاق؛ يجد ذلك على ما ذكرناه.

فصل:

وجملـة الأمر أنّـه ليس كلّ حـديث عُزي إلى الصّـادقين ـ عليهم السّلام ـ حقّاً عليهم [٢]، وقد أُضيف إليهم مـا ليس بحقّ عنهم [ومن لا معرفة لـه لا يفرّق] [٣] بين الحقّ والباطل [٤].

وقد جاء عنهم ـ عليهم السّلام ـ ألفاظ مختلفة في معانٍ مخصوصة، فمنها ما تتلازم معانيه وإن اختلفت ألفاظه، لـدخول الخصوص فيه والعموم والنّدب والإيجاب، ولكون بعضه على أسباب لا يتعدّاها [٥] الحكم إلى غيرها، والتّعريض في بعضها بمجاز الكلام لموضع التّقيّـة والمداراة، وكلّ من ذلك مقترن بدليله [٦]، غير خال من برهانه؛ والمنّة لله سبحانه.

وتفصيل هـذه الجملـة يصح ويظهـر عنـد إثبـات الأحـاديث المختلفـة، والكلام عليها ما قدّمناه، والحكم في معانيها ما وصفناه، إلاّ أنّ المكذوب منها لا ينتشر بكثرة الأسانيد انتشـار الصّحيح المصدوق على الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ فيه، وما

---

(١) «ز»: في.

(٢) في المطبوعة: عنهم.

(٣) «ز» وذلك غير خفيّ على من له معرفة تفرّق به ما، «أ»: وقـد اشتبه على من لا معرفة له الفرق ما.

«ح»: فيثبته على من لا معرفة له يفرّق ما.

(٤) «أ» زيادة: منها.

(٥) «ق»: يتعدّى.

(٦) «ح»: بدليل.

خـرج للتّقيّـة لا تكثـر روايتـه عنهم كما تكثـر روايـة المعمـول بـه، بل لا بـدّ من الرّجحان في أحـد الطّرفين على الآخر من جهة الرّواة حسب مـا ذكرناه، ولم تجمع العصابة على شيء كان الحكم فيه تقيّة، ولا شيء دلس [١] فيه ووضع متخرّصاً [٢] عليهم وكذب في إضافته إليهم.

فإذا وجدنـا أحد الحديثين متّفقاً على العمل به دون الآخـر علمنا أنّ الّذي اتّفق على العمل به هـو الحقّ في ظاهـره وباطنه، وأنّ الآخـر غير معمول بـه؛ إمّا للقول فيه على وجه التّقيّة، أو لوقوع الكذب فيه.

و إذا [٣] وجدنا حـديثاً يرويه عشرة مـن أصحاب الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ يخالفه حـديث آخر في لفظـه ومعناه ولا يصحّ الجمع بينهما على حـال [٤] رواه إثنـان أو ثلاثـة، قضينا بما رواه [٥] العشرة ونحـوهم على الحديث الّـذي رواه [٦] الإثنان أو الثّلاثة، وحملنا ما رواه القليل على وجه التّقيّة أو توهّم [٧] ناقله.

و إذا وجدنا حـديثاً قد تكرّر العمل به من خاصّـة أصحاب الأئـمّة ـ عليهم السّلام ـ في زمـان بعد زمـان وعصر إمام بعـد إمام قضينـا به على مـا رواه غيرهـم من خلافه ما لم تتكرّر الرّواية به والعمل بمقتضاه حسب ما ذكرناه.

فإذا وجدنـا حديثـاً رواه شيوخ العصابـة ولم يرووا [٨] على أنفسهم خـلافه

---

(١) في بعض النّسخ: دسّ.

(٢) في بعض النّسخ: مخروصاً،وفي بعض آخر: تخرّصاً.

(٣) «ز»: فإذا.

(٤) «أ» زيادة: وإن.

(٥) «ز»: روته.

(٦) «ز»: روته.

(٧) «ح» : لوهم.

(٨) في بعض النّسخ: يوردوا.

علمنا أنّه ثابت، وإن روى غيرهم ممّن ليس في العدد [١] وفي التّخصيص بالأئمّة ـ عليهم السّلام ـ مثلهم إذ ذاك علامة الحق فيه، وفرق ما بين الباطل وبين الحقّ في معناه، وأنّه لا يجوز أن يفتي الإمام ـ عليه السّلام ـ على وجه التّقيّة في حادثة فيسمع ذلك المختصّون بعلم الدّين من أصحابهم ولا يعلمون مخرجه على أيّ وجه كان القول فيه، ولو ذهب عن واحد منهم لم يذهب عن الجماعة، لا سيّما وهم المعروفون بالفُتيا [٢] والحلال والحرام، ونقل الفرائض والسّنن والأحكام.

ومتى وجدنا حديثاً يخالفه الكتاب ولا يصحّ وفاقه له على حال أطرحناه، لقضاء الكتاب بذلك وإجماع [الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ] [٣] عليه.

وكذلك إن وجدنا حديثاً يخالف أحكام العقول اطرحناه لقضيّة العقل [٤] بفساده، ثمّ الحكم بذلك على أنّه صحيح خرج [٥] مخرج التقيّة أو باطل أُضيف إليهم موقوف على لفظه، وما تجوّز الشّريعة فيه القول بالتّقيّة وتحظره وتقضي العادات بذلك أو تنكره. فهذه جملة ما انطوت عليه من التّفصيل تدلّ على الحقّ في الأخبار المختلفة، والصّريح فيها لا يتمّ إلاّ بعد إيراد الأحاديث، والقول في كلّ واحد منها ما بيّنّا طريقه.

وأمّا ما تعلّق به أبو جعفر ـ رحمه الله ـ من حديث سليم الّذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف [٦] إليه برواية أبان بن أبي عيّاش، فالمعنى فيه صحيح، غير أنّ هذا الكتاب غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتديّن أن يجتنب العمل بكلّ ما فيه، ولا يعوّل على جملته

---

(١) في المطبوعة: العداد.

(٢) «ز»: في.

(٣) «ز»: الأمّة.

(٤) في المطبوعة: العقول.

(٥) في بعض النّسخ: أُخرج.

(٦) «ز»: مضافاً.

والتّقليد لرواته [١] وليفـزع إلى العلماء فيما تضمّنه من الأحـاديث ليوقفـوه [٢] على الصّحيح منها والفاسد، والله الموفّق للصّواب.

[تمّت وبـالخير خُتمت، قد فـرغت من تحريـر هذه الـرّسـالة المتعلّقـة على اعتقادات ابن بابويه ـ رحمه الله ـ لشيخنا الإمام العلاّمة السّعيد المفيد [٣] ـ طاب ثراه ـ في اليـوم التّـاسع من شهـر محرّم الحرام من شهور سنـة ثمانين بعـد الألف (١٠٨٠) من الهجرة المصطفويّة ـ على مشرّفها وآله ألف تحيّة ـ وكتبها لنفسه ولمن يشـاء الله من بعـده العبـد أحمد بن عبـد العـالي الميسيّ العـامليّ ـ تجاوز الله عن سيّئاته، وحشره مع ساداته الأئمّة الأطهار، صلوات الله عليهم أجمعين ـ آمين ربّ العالمين؛ بمنّه وكرمه.

تمّت المقابلة على نسخة حجّة الإسلام السّـيّد هبة الدّين الحسينيّ؛ ببغداد، العراق].

---

(١) في المطبوعة: لراويه.

(٢) «ح» «ش»: ليفقّهوه.

(٣) استدراك ـ قال الحافظ الذهبي* (المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ) في كتابه (دول الاسلام ـ ص ١٨٠ ج ١ ط ٢ هند ١٣٦٤هـ) مـا نصّه: و فيها (يعني في سنة ٤١٣) مات... و شيخ علماء الـرافضة أبو عبـد الله محمد بن محمـد بن النعمان البغـدادي المعلم و يلقّب بالشيخ المفيـد و كـان ذا جلالـة عظيمة في دولة بني بويـه وكان عضد الدولة ينزل إليه، عاش ستـاً و سبعين سنة و له مصنفات كثيرة وكان خاشعاً متعبداً متألّهاً شيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة لابارك الله فيهم. ج.

---

* تلميذ الحافظ أحمد بـن تيمية الحراني المتوفّـى سنـة ٧٢٨هـ عن ٦٧ سنـة، مؤلّف كتـاب الردّ على المنطقيين، ذلك الكتـاب الفلسفي الذي قـام بطبعـه ونشره للمرة الأُولى الأُستـاذ المفضال عبـد الصمد شرف الـدين الكتبي سنة ١٣٦٨هـ ببمبـاى ـ الهنـد، وكان طبعه في مطبعتـه القيمة في قالب قشيب جميل عـن نسخة وحيدة كتب عليهـا المصنف بخطّه مصدراً بمقـدمة لـه و كلمة للدكتور السيـد سليمان الندوي مدير مجلـة (معارف) المحترم. أُنظر (العرفـان الاغر ـ ص ٣٤ـ ٣٧ ج ١ مج ٣٨ ط صيدا). ج.

وإليه المرجع والمآب، والحمد لله على الهداية، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمد وآله [١]. ربيع الأوّل ١٣٥٨ هـ. وأنا الأقل: السّيّد أحمد السّيّد هادي الحائريّ الشّهرستانيّ ـ عُفي عنه.

---

(١) جاء في آخر النّسخ المعتمدة ما يلي:

«أ»: قد فرغت من تحرير هذه الرّسالة المتعلّقة على اعتقادات ابن بابويه ـ رحمه الله تعالى ـ لشيخنا الإمام العلاّمة السّعيد المفيد ـ طاب ثراه ـ في اليوم التّاسع من شهر محرّم الحرام، من شهور سنة ثمانين بعد الألف من الهجرة النّبويّة ـ على مشرّفها ألف ألف تحيّة ـ وكتبها لنفسه ولمن يشاء الله تعالى من بعده : أحمد بن عبد العالي الميسيّ العامليّ ـ تجاوز الله عن سيّئاته، وحشره مع ساداته الأئمّة الأطهار الأبرار، صلوات الله عليهم أجمعين ـ آمين.

[ثمّ قال النّاسخ عنها]: وأنا قد فرغت بعون الله وتوفيقه من تحريره في اليوم السّادس من شهر محرّم الحرام سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النّبويّة، وأنا العبد الأحقر الجاني الحسن بن محمّد الخيابانيّ التّبريزيّ.

«ح»: تمّ شرح الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ على اعتقادات الشّيخ أبي جعفر ابن بابويه القمّي ـ رحمه الله ـ يوم الأحد التّاسع وعشرون من شهر ربيع الثّاني سنة تسع وسبعين بعد الألف، على يدي المذنب المحتاج إلى عفو مولاه مصطفى قلي ـ أعطاه الله العظيم بالنّبيّ والوصيّ وآلهما الكرام ... إلى الله الرحيم.

«ز»: يقول الفقير إلى الله الغنيّ ، ابن زين العابدين محمّد حسين الارمويّ النّجفيّ: هذا تمام ما في النّسخة الّتي نسخت هذه منها واتّفق لي الفراغ في آخر يوم من صفر سنة ألف وثلاثمائة واثنا وخمسين الهجريّ ـ على هاجرها ألف سلام وتحيّة ـ وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين.

«ش»: قد فرغت من تحرير هذه الرّسالة المتعلّقة على اعتقادات ابن بابويه ـ رحمه الله ـ لشيخنا الإمام العلاّمة السّعيد المفيد ـ طاب ثراه ـ إلاّ في بعض المواضع الّتي كانت ساقطة من المنتسخ. يسّر الله حصولها؛ بيمين الفقير المذنب المحتاج إلى رحمة الله المعين شاه محمّد بن زين العابدين، في بندر السّورت من بنادر الهند، في غرّة جُمادى الثّانية في السّنة الثّانية بعد الأربعين وألف؛ حامداً مُصلّياً مُسلّماً.

«م»: وقع الفراغ من تسويد هذه النّسخة الشّريفة ليلة الإثنين تاسع شهر جُمادى الأُخرى، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النّبويّة ـ على هاجرها الصّلاة والتّحيّة ـ في شريعة الكوفة.



« ختامه مسك »

ولنختم الكتاب بعون الله الملك الوهاب بنشر الاجازة التي دبجها يراع سماحة العلامة الإمام آية الله في الأنام حضرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء - متع الله العلم و الدين بطول حياته - بمقتضى لطفه وعطفه نحو الناشر المخلص ليكون ختامه مسكاً.

هذا وممّا هو جدير بالتسطير: ان سماحة مفخرة الطائفة قد غادر النجف الاشرف في ١٢ جمادى الأُولى ١٣٧١ق - ١٩/ ١٢/ ٣٠ ش إلى عاصمة الباكستان (كراتشي - كراچي) على الطائر الميمون حسب دعوة اخواننا الباكستانيين من أعلام المسلمين و علمائهم في عاصمتها واصرارهم على مغارة سماحته الغريّ لقاعدتها للحضور إلى مؤتمر اسلامي كانوا قد اعتزموا إذ ذاك على عقده هناك باجتماع رجال الاسلام للمداولة في شؤون المسلمين. وقد انعقد المؤتمر - على ما نشرته الصحف - بكراتشي يوم الخميس ١٧ ج١ - ٢٤/ ١٢/ ٣٠ برئاسة سماحة مفتي فلسطين الأعظم الحاج السيد أمين الحسيني. متّع الله المسلمين بطول حياة الإمام وأسعف الأعلام بالنتائج المثمرة للاسلام.

و إليك أيّها القارئ الكريم: نص اجازة الامام:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، وفضّل مدادهم على دماء الشهداء، وأجاز لهم من المواهب ما أجاز، وصلّى الله على محمّد و آله مجاز الحقيقة و حقيقة المجاز.

وبعد. فانّ جناب العالم المحدث فخر الخطباء وخطيب العلماء، فارس المنابر ومصداق كم ترك الأول للآخر، الحاج ميرزا عباسقلى التبريزي جرندابي أيّده الله و أدام فيوضاته في المحافل والنوادي للحاضر والبادي قد استجازني على طريقة السلف الصالح وأساطين الدين من المتقدمين والمتأخرين، وحيث إنّي على سابق من فضله ونبله وسعة باعه وغزير اطّلاعه، بما وصلنا من مؤلّفاته الجليلة لذلك أجزته أن يروي عنّي جميع ما صحّت لي روايته عن مشايخي الأعلام و أساتيذي العظام، أذكر منها طريقاً واحداً: فقد أجازني أُستاذي في الحديث الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب المستدرك عن شيخنا المرتضى أعلى الله مقامه عن الشيخ علي عن أخيه الشيخ موسى عن أبيه الشيخ الكبير كاشف الغطاء عن الآقا البهبهاني عن أبيه محمد أكمل عن جمال الدين الخونساري عن الشيخ جعفر القاضي عن المجلسي عن أبيه المجلسي الأول عن الشيخ البهائي عن أبيه حسين بن عبد الصمد عن الشهيد الثاني عن علي بن عبد العالي الميسي عن ابن المؤذن محمد بن داود عن ضياء الدين علي عن أبيه الشهيد الأول عن فخر المحققين عن أبيه العلامة عن المحقق جعفر بن السعيد عن ابن نما عن ابن ادريس عن الشيخ عربي بن مسافر العبادي عن الشيخ الياس الحائري عن الشيخ أبي علي عن أبيه شيخ الطائفة عن المفيد عن الصدوق عن الكليني رضوان الله عليهم جميعاً بسنده عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم عن جدهم رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الباري جلّت عظمته. ورجائي أن لا ينساني من صالح دعواته كما لا أنساه والله يحفظه ويرعاه بدعاء.

صدر من مدرستنا العلمية بالنجف الأشرف

٧ جمادى الأُولى ١٣٧١

محمد الحسين

آل كاشف الغطاء

«كلمة غالية»

للعماد الاصبهاني

قال العلاّمة الخبير والكاتب الكبير عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد الاصبهاني المتوفّىٰ سنة ٥٩٧هـ بدمشق: «انّي رأيت انّه لا يكتب انسان كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

چرندابي.

فهرس كتاب
تصحيح الاعتقاد

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	١ـ١٨
الشيخ المفيد ـ و ـ تصحيح الاعتقاد	١٩
مفتتح الكتاب	٢٧
معنى كشف الساق	٢٨
تأويل اليد	٣٠
نفخ الأرواح	٣١
حكمة الكناية والاستعارة	٣٣
المكر والخدعة من الله ـ معنى الله يستهزئ بهم	٣٥
نسبة النسيان إلى الله	٣٨
صفات الله	٤٠
خلق أفعال العباد	٤٢
فصل ـ كتاب الله مقدم على الأحاديث	٤٤
الجبر والتفويض	٤٦
المشيئة والارادة	٤٨
تفسير آيات القضاء والقدر	٥٤
تفسير أخبار القضاء والقدر	٥٧
معنى فطرة الله	٦٠
معنى الاستطاعة	٦٣
معنى البداء	٦٥
الجدال على ضربين: أحدهما بالحق والآخر بالباطل	٦٨
في اللوح والقلم	٧٤
معنى العرش	٧٥
في النفوس والأرواح	٧٩
تفسير أخبار الذرّ	٨٣

تفسير آية: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم﴾ الآية	٨٣
في الرجعة	٨٩
فيما وصف به الشيخ أبو جعفر ـ ره ـ الموت	٩٤
في المساءلة في القبر	٩٨
فيما ذكر الشيخ أبو جعفر ـ ره ـ في العدل	١٠٣
في الأعراف	١٠٦
في الصراط	١٠٨
في العقبات	١١٢
في الحساب و الميزان	١١٤
في الجنة والنار	١١٦
حدّ التكفير	١١٩
في نزول الوحي	١٢٠
في نزول القرآن	١٢٣
تفسير آية: ﴿فتعالى الله الملك الحقّ ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربّ زدني علماً﴾ في الاشارة إلى أنّ طبرس المنسوب إليه الامام الطبرسي	١٢٥
في العصمة	١٢٨
في الغلو والتفويض	١٣١
في أنّ ما ذكره أبو جعفر ـ ره ـ من مضى نبيّنا والأئمّة ـ عليهم السّلام ـ بالسمّ والقتل، منه ما ثبت و منه ما لم يثبت	١٣١
في التقية	١٣٧
في أنّ آباء النبيﷺ كانوا موحّدين	١٣٩
في تفسير آية: ﴿قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾	١٤٠
في الحظر والاباحة	١٤٣
في الطب	١٤٤
في الأحاديث المختلفة	١٤٦
إجازة سماحة الإمام آل كاشف الغطاء مدّ ظله للواعظ الچرندابي كتباً	١٥٤
كلمة غالية، للكاتب الكبير عماد الدين الاصبهاني	١٥٥

«كلمة قيّمة حول الذكر الحكيم»

ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال الدكتور شبلي شميّل[1] اللبناني المصري المادي الشهير (المتوفّى سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م): «إنّ في القرآن أحوالاً اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كلّ زمان ومكان حتى في أمر النساء فانّه كلفهنّ بأن يكنّ محجوبات عن الريب و الفواحش، وأوجب على الرجال أن يتزوج بواحدة عند عدم امكان العدل، و انّ القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة وترقية الروح و الجسد بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلّي عن العالم الفاني».

وقال الدكتور المادي الآنف الذكر في كلمته الأُخرى التي مدح بها القرآن الكريم وجلالة صاحب الرسالة العظيم (محمد بن عبد الله ﷺ)، مخاطباً بها العلامة الأُستاذ السيد محمد رشيد رضا[2] (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ) نثراً ونظماً، ما

---

(١) إقرأ ترجمته الضافية في (معجم أُدباء الأطباء ـ ص ١٩١ ـ ١٩٥ ط نجف) و (اعلام المقتطف ـ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٢ ط مصر). ج.

(٢) مؤلّف تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، فسر به ١٢ جزء من الذكر الحكيم في ١٢ مجلداً، و آخر ما وصل إليه في التفسير من الجزء الثالث عشر الآية الكريمة المرقومة بمائة وواحد من سورة يوسف ـ عليه السّلام ـ: ﴿ربّ قد آتيتني من الملك و علمّتني من تأويل الأحاديث﴾ الآية. واقرأ أيّها القارئ الكريم ترجمته المسهبة في كتاب (السيد رشيد رضا ـ أو ـ اخاء أربعين سنة ط دمشق) لأمير البيان شكيب أرسلان (١٨٧٠ ــ ١٩٤٦م). راجع كتاب (ذكرى الأمير شكيب أرسلان ط مصر). ج.

لفظه:

إلى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار)

أنت تنظر إلى محمد كنبيّ و تجعله عظيماً وأنا أنظر إليه كرجل وأجعله أعظم، ونحن و إن كنّا في الاعتقاد على طرفي نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القول و ذلك أوثق لنا لعرى المودّة (الحقّ أولى أن يقال)

دع من محمّد في صدى قرآنه	ما قد نحاه للحمة الغايات
انّي وإن أك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات؟
أو ما حوت في ناصع الألفاظ من	حكم روادع للهوى وعظات
و شرائع لو أنّهم عقلوا بها	ماقيّدوا العمران بالعادات؟
نعم المدبر و الحكيم وانّه	ربّ الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجى رجل السياسة والدهاء	بطل حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهى	و بسيفه أنحى على الهامات
من دونه الأبطال في كلّ الورى	من سابق أو غائب أو آت

چرندابي

